

يَا
يَا

الهروبي من
وادي الماء



المرجع
وادي الهلال

الطبعة الأولى
١٤١٧-١٩٩٦ م

مكتبة جريرا للطبع والتوزيع

© دار الشروق
أستاذ سامي محمد المعتمد عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سبويه المصري - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص. ب : ٣٣ البالوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص. ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٨١٧٢١٣ - ٣١٥٨٥٩
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

خيال × خيال

الهروب من
وادي الدهاك

تأليف : محمود قاسم

دار الشروق

(١)

وكان كل شيء يسير على هوى «الشبح الأزرق» ..
راحـت الألوان الداكنـة تـلمـعـ في ملابـسـهـ ،ـ كـأنـهاـ تـعبـرـ عنـ فـرـحةـ
عـارـمةـ تـتـابـهـ .ـ لمـ يـكـنـ يـنـقـصـهـ فـيـ تـلـكـ السـاعـةـ سـوـىـ أـنـ يـغـنـىـ .ـ رـغـمـ
أـنـ الـبـهـجـةـ مـنـوـعـةـ تـمـاـمـاـ عـلـىـ عـمـلـكـتـهـ الـوـاسـعـةـ التـىـ يـسـيـطـرـ عـلـيـهـاـ .ـ
وـدـ أـنـ يـقـيـسـ فـرـحاـ .ـ بـلـ أـنـ يـتـخـلـصـ مـنـ اللـونـ الـأـزـرـقـ الـذـىـ
يـسـيـطـرـ عـلـىـ الـأـمـاـكـنـ التـىـ يـتـوـلـيـ قـيـادـتـهـ .ـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ مـاـ يـغـمـرـهـ مـنـ
فـرـحةـ وـسـعـادـةـ .ـ

يـاـ إـلـهـىـ .ـ إـذـاـ كـانـ «ـالـشـبـحـ الـأـزـرـقـ»ـ سـعـيـداـ ،ـ فـهـذـاـ يـعـنـىـ
بـلـاشـكـ أـنـ هـنـاكـ مـصـيـبـةـ سـتـحـدـثـ ،ـ أـوـ حـدـثـ فـيـ مـكـانـ مـاـ .ـ وـأـنـ
الـكـارـثـةـ قـدـ حـلـتـ بـالـنـاسـ ..ـ

تـرىـ مـاـذـاـ حـدـثـ ؟ـ

إـنـهـ سـعـيـدـ ..ـ وـكـلـمـاـ زـادـتـ سـعـادـتـهـ ،ـ بـدـتـ الـكـارـثـةـ أـشـدـ ..ـ رـدـدـ
وـهـوـ يـنـظـرـ إـلـىـ صـورـتـهـ تـلـمـعـ فـيـ الـمـرـأـةـ الـدـاـكـنـةـ :

ـ رـائـعـ ..ـ سـوـفـ يـجـلـ عـلـيـهـمـ الغـضـبـ ..ـ سـوـفـ أـفـرـحـ ..ـ
وـسـرـعـانـ مـاـ ظـهـرـتـ فـرـحـتـهـ عـلـىـ الشـاشـةـ التـىـ يـتـجـسـدـ عـلـيـهـاـ

كلامه . وكان السؤال :
- ترى ماذا هناك حقا ؟

(٢)

إنها مدينة «الراحة» . . . تعيش في هذا الحال منذ عدة أيام . .
ويالله من حال لا يسر عدوا ولا حببا . .
هل يتصور أحد أن مثل هذه المدينة يمكن أن تحل بها هذه
الكارثة ؟ إنها من أروع المدن في كل الدنيا . مدينة صغيرة مثالية ،
يعيش سكانها في سعادة منذ سنوات طويلة ، لدرجة أن الناس
كادت أن تنسى وجودها على الخريطة . .
إذن ، فالأمر جسيم ، بل وبالغ الجساممة . .
إنهم خمسة آلاف نسمة لا أكثر ، عدد سكان المدينة الواسعة .
لقد قرروا منذ فترة ألا يزيد عددهم . إيمانا بأن السعادة ليست في
الكثرة ، بل في أن تعيش القلة على الخيرات التي منحهم الله إليها
في جميع المجالات . .
ولأن زيادة شخص واحد فقط يمكن أن تغير الموازين ، وتجعل
موارد المدينة تقل ، فقد كان هناك شبه اتفاق بتنظيم عدد سكان
المدينة . .
وهكذا عاشوا ، في ارتياح شديد ، كل ما يطلبه الإنسان

المعاصر موجود ، كأنها مدينة فاضلة ، ولذا فلا جرائم قتل من أي نوع . ولا حوادث مثيرة .. ولماذا الجرائم وأسبابها غير موجودة . ؟ وبالتالي ، نسى الناس من قواميسهم كل مانعرفه نحن الذين نسكن خارج هذه المدينة من تعبيرات عن المغامرات ، والأمال ، والطموح ..

كأنها مدينة نموذجية ، يعمل فيها كل شيء وفق نظام دقيق ، ولم يكن هناك مايؤرق الناس ..

لذا انعدمت الأخبار الجديدة .. وفقدت الصحف أهميتها ، فليست هناك أخبار عن رجال سياسة ، أو الحوادث المثيرة ، أو عن زيادة الأسعار . ولذا فهي المدينة الوحيدة في عالمنا التي توقفت فيها نشرات الأخبار منذ سنوات طويلة ..

لكن ، شيئاً ما ، جاء يهب على المدينة ، كأنه يود أن يعصف بها ويسكانها .

(٣)

اجتمع المجلس الأعلى لمدينة الحكايات هذا الصباح اجتماعه التقليدي ، الذي يعقد صباح يوم السبت لمناقشة بعض الأمور العادلة ، ولمعرفة إلى أي مدى تسير أمور المغامرين من أبناء المدينة في أماكن عديدة من العالم .

وفجأة أثناء الاجتماع ، فجر رجل عجوز من أبناء المدينة سؤالاً غريباً ، حين قال :

- هل تصدقون أن هناك مدينة لا تتعامل قط معنا .. ؟
تبه « حكيم المدينة » إلى أهمية ما ي قوله العجوز ، فلاشك أن ما يطرحه بالغ الإثارة . سأله :

- ماذا تقصد .. ؟

هنا تدخل سندباد قائلاً :

- هل تقصد مدينة « الراحة » ؟

وسرعان ما يصحح الحاضرون من هذا الاسم الغريب ، فهل هناك مدينة بهذا الاسم على الخريطة ؟ ، هز العجوز رأسه بالإيجاب . هنا قال سندباد :

- إنها مدينة غريبة ، أنتم تعرفون يا أخوان أنتى سافرت إلى كل مدن العالم القديم والحديث ، لكن هذه مدينة غريبة ، فأهلها لا يحبون القصص ولا الحكايات ..

قال « حكيم المدينة » :

- وبالتالي فهم لا يعرفون سندباد ، ولا جحا ، ولا علاء الدين ، أو على بابا .

تدخلت أم الغولة بكل حاس :

ـ ولا أم الغولة ..

ضحك العجوز مؤكدا : ولا أم الغولة .. ولا الفارس النادر ..
ضمت أم الغولة فكيها بقوة ، وكأنها في حالة غيظ ، وقالت :
ـ آه .. ياويلهم .. سوف أذهب إليهم !!
تدخل عنترة : ولماذا .. دعيمهم في حالم .. فنحن حيث
نذهب تولد المتاعب ..

هنا طرق العجوز على مائدة أمامة ، وكأنه يؤكد أن هذا هو
ما يقصده .. فهذه المدينة لا تتعامل مع الحكايات ، فهى تضم
الأشرار ، إلى جانب الطيبين ، ولاشك أن سكان المدينة يودون أن
يرتاحوا من أي متاعب ..

فجأة ، لمع ضوء أخضر ، على المنضدة التي يجلس أماماها
ـ «حكيم المدينة» ، راح ينظر إليها باهتمام وسرعان مافهم الإشارة .
فنظر إلى مجلس إدارة مدينة الحكايات ، قائلا :
ـ «الشبح الأزرق» مبتهج .. وهذا مؤشر خطير .. ويجب أن
نتصرف ..

(٤)

بدأت الحوادث المثيرة ذات صباح ، حينما رمى أحد المواطنين
بجهاز كومبيوتر متتطور من شرفته فسقط في الشارع وتحطم إلى عدة
قطع ..

هذا الأمر أزعج المواطنين في مدينة «الراحة» .. ولأول مرة منذ سنوات طويلة ، يذاع خبر في برامج محطات التليفزيون .. وجلس المشاهدون يتلقون الخبر بدهشة ، وسعوا إلى معرفة المزيد . فلماذا فكر مواطن في أن يفعل هذا .. هل هو مجنون ؟

وقف المواطن أمام المذيعة الحسناء ، وقال بهدوء شديد :
ـ لا ، لست مجنونا .. أنا عاقل جدا .. لكتني وجدت أن
الكمبيوتر شيء غير مفيد .

سألته المذيعة : ماذا تقصد بالضبط ؟
نظر الرجل إلى الكاميرا ، وبذاك أنه يسأل المواطنين :
ـ هل سأل أحد منكم نفسه ، هل الأشياء التي حولنا مفيدة أم لا .. هل يمكن أن نعيش بدونها .. المقعد الذي نجلس عليه
مثلا .. هل ينتهي العالم لو جلسنا فوق الأرض مثلا .. ؟
وأحسن بعض المواطنين أن هذا الرجل يتكلم بطريقة منطقية
جدا . وتساءلوا عن فائدة الأشياء التي أصبحت أساسية في
حياتهم .

ولم يمض سوى يومين ، إلا وأصبح موضوع «المفيد» و«غير
المفيد» حديث الناس في كل مكان . وتكون فريق أطلق على نفسه
ـ «التخلص من الأضرار» ، راح يوزع منشوراته على الناس بأن كل

تلك الأجهزة المتطورة التي تملّكها المدينة قد أضرت بالناس أكثر مما أفادتها ، وأتها علمتهم كيف يكونون كسامي ، ، لا يعملون ، ولا يفكرون في غدهم ، وأتهم يعيشون في حالة تواكل ، وقد افتقدوا بذلك بعض الأمور الحامة ، مثل المشاعر الفياضة ، وضمرت أشياء هامة لدى البعض مثل الطموح ، والرغبة في الأفضل .

وسرعان ما وجدت هذه الأفكار صدى لدى بعض الناس . فبدءوا يتخلصون من أشياء كانوا يتصرّرونها مهمة ، ومنها السيارات ووسائل المواصلات الأخرى ، وراحوا يجربون المشي على الأقدام ، وانتشرت في المدينة دعوة فريق « التخلص من الأضرار » وشهاد الكثير من الناس يمشون في الشوارع بعد أن أهملوا سياراتهم . وقال البعض للأخر :

ـ أحس كأن عضلات جسمى قد عادت للحياة مرة أخرى ..
ـ أما الفريق الآخر ، فقد رأى أن الله أنعم على البشر بالعقل ،
ـ وبواسطة هذا العقل ، أمكنهم التوصل إلى كل هذا التطور . وأنه من الأفضل الاستفادة منها ..

ـ وبدأت المدينة تشهد أحداثاً جسمية .. خاصة أن الفريق الأول وجد أن عليه أن يهطم كل السيارات في المدينة من أجل أن تعم فائدة المشي .

ومن هنا بدأت المواجهة ..

(٥)

ولذا كان « الشبح الأزرق » سعيدا ..

فقد رأى أن مياه الشر قد تحركت في المدينة . وسرعان ما أصدر أوامره أن ينزل الرجال إلى مدينة « الراحة » كى يثيروا الفتنة بين الفريقين المنافسين ، أو فلنقل المتصارعين . ونجح رجاله في أن يندسوا بين الناس ، ينقلون إليهم أخبار الفريق الآخر . ويزيدون كلاما ، وأحداثا ، فزادت الفتنة .

ولم يلتفت الناس إلى خطورة ما يحدث ..

ولأول مرة لم يتبيهوا أن بينهم قوما غرياء ولم يتبيهوا ملامعهم . ونجحت خطة « الشبح الأزرق » ، فسرعان ما قام أعضاء فريق بالهجوم على الفريق الآخر ، بحجة أنه يجب أن يمثل له ..

فطالما أن الفريق الأول يرى أن التكنولوجيا قد أضرت بالناس ولم تعد بذات فائدة فإن هذا الأمر لا يقتصر على المناصرين فقط لأعضاء هذا الفريق بل أيضا لكل أبناء المدينة .

وذات مساء ، همس واحد من أبناء « المدينة الزرقاء » في أذن

رجل من الفريق الأول :

— ولماذا لا تخلصون من السيارات .. كى تنسع الشوارع

أكثر.. ونعم «فائدة» المشى ..؟

وبدت الفكرة وجيهة للغاية .. وفي صباح اليوم التالي فوجئ سكان المدينة بأن كل السيارات على اختلاف أشكالها قد اختفت ..

لم يعرف أحد أين ذهبت السيارات . قيل إن شخصا من أنصار الفريق الأول جاء بمعنطيس عملاق في منتصف الليل والتقط السيارات الوحيدة تلو الأخرى . ثم وضعها في قفص ضخم اختفت إلى الأبد ..

وتناثرت الحكايات . ولم يعرف أحد الحقيقة .. وبدأ الغضب يعم المدينة . وأحس أعضاء الفريق الثاني بأن المنافسين كانوا وراء اختفاء السيارات ، فقرروا أن يتظروهم في الصباح وهم يقومون بالمشى في مجموعات .

وبدت المدينة كأن أبناءها على حافة مواجهة ساخنة فيها بينهم ..

وفي تلك الليلة ، وقبل المواجهة الخامسة ، ظهر في المدينة رجل عجوز .

(٦)

وقررت مدينة الحكايات أن ترسل أحد مواطنيها إلى مدينة
«الراحة» ..

فقد تسرّبت الأنبياء المزعجة إلى «مدينة الحكايات» ، بأن
«الشبح الأزرق» قد توصل بشّه إلى هذه المدينة الآمنة ، وأراد أن
يرمى بيذوره هناك لتحدّث مواجهة بين أهل المدينة . إنها مواجهة
دامية .

حين وصل العجوز إلى المدينة كان كل شيء ينذر بشّر لا حدود
له . فقد قرر أعضاء الفريق الثاني أن يستخدم كل مالديه من
أسلحة متطرّفة لهزيمة الفريق الأول ..

ولأنّ الأسلحة النارية محظمة تماماً في هذه المدينة ، فإنّ أعضاء
الفريق الثاني قرروا أن يحشدوا أسلحة أشدّ فتكاً ، وليس نارية ..
بدت المدينة غريبة الشكل ، فقد عتمتها الظلمة حيث قام
أعضاء الفريق الأول الذي لا يرى أى فائدة في منجزات العلوم
بإطفاء الأضواء في مساكنهم ، وفي الشوارع التي يسكنونها بحجّة أن
الناس يمكنها أن تعيش بدون إضاءة مثلما كان يفعل الأجداد .

بدت مدينة «الراحة» في تلك الساعة كأنّ أشباحاً تسكنها ،
وكان هناك أشخاصاً يترصّدون بآخرين ، ويستظرون أن يخرجوا من



أجل التخلص منهم .

ولذا كان من الغريب أن يقوم رجل عجوز لا حول له ولا قوة بالتجول في شوارع المدينة ، إنه يضع على كتفه مخلة بيضاء ، وكأنه غريب يبحث عن مكان بيت فيه ..

ولأن مدينة «الراحة» لم تعرف رجال الشرطة منذ فترة طويلة ، فإن الجميع قد قرر البقاء في منزله في انتظار المواجهة الدامية الخامسة . وكأن كل شخص يتربّب أن يتخلص من خصمه ، الفريق الأول الذي يهدف إلى التخلص من كل منجزات الحضارة ، والتكنولوجيا كى يعيش بشكل طبيعي ، بحجة أن التكنولوجيا قد أفسدت الناس وقتلت فيهم أشياء جليلة . أما الفريق الثاني فيرى أن عليهم الاحتفاظ بالمنجزات التي حققها البشر طوال آلاف السنين ، وأن المثالية التي عاشت فيها المدينة في السنوات الأخيرة ليست سوى نتاج لمنجزات الإنسان .

بدأ أفراد كل طرف متسبّلين بأفكارهم .. وراح قلب العجوز يدق وكأنه قرر أن يفعل شيئا .. يجسم به هذه المعركة ..

(٧)

جاءت صرخة «الشبح الأزرق» حادة ، وظهرت كلماته على الشاشة المعلقة على صدره :

ـ آه .. لقد فعلها هذا العنيد .. لقد تعلم منى .. سوف
اريء ..

إنها المرة الأولى في حكايات الفنطازيا إذن .. لكن ترى ماذا
حدث حقا .. ؟

لم تستطع مدينة «الراحة» أن تستيقظ في صباح يوم المواجهة
الخامسة .. وكيف لها أن تستيقظ ولم تعد مدينة بالمرة .. بل
أصبحت مجرد مكان بدائي تعيش فيه مجموعة من الأشخاص حياة
تدعى إلى الرثاء ..

عندما استيقظ سكان مدينة «الراحة» سابقا ، علت الدهشة
وجوه الجميع ، فقد فوجئ الجميع أنهم راقدون فوق رمال وعلى
مقرية منهم كهوف حجرية. صاح من صاح :
ـ يا إلهي .. ماذا حدث .. ؟

لم يكن هناك وقت للدهشة ، ولا للمفاجأة ، ولا حتى لفعل
أى شيء ، فللاشك أن ماحدث اغرب من الخيال . لقد اختفت
المدينة بكل مابهَا من دلائل حضارة وتقديم ، اختفت المصانع
والبيوت والأجهزة الحديثة والتكنولوجيا والملابس الفاخرة .. وكل
شيء له علاقة بالتطور ، حتى صنابير المياه لم تعد
موجودة ، واكتشف الناس أنهم في مأزق حقيقي . فلا هم بقادرين

على ممارسة حياتهم العادلة ولا بعارفين كيف يتصرفون . .
صاحت طفلة صغيرة :

- أريد كوب اللبن . .

و�포f رجل عجوز : أريد أن أحلق ذقني . .

وودت إحدى ربات البيوت أن تفتح التليفزيون لتشاهد ببرامج
الصباح الجذابة ، لكن أحدا لم يستطع أن ينفذ ما يود .

كان السؤال الذى أطلقه الجميع معا هو :
- ترى ماذا جدت ؟

كان عليهم أن يتظروا حتى يفiqueوا من الصدمة التى أصابتهم ،
فلاشك أن هذه هي المرة الأولى من نوعها .

لكن وقت الانتظار طال . . وكان عليهم أن يشعروا بأن
الكارثة قد حللت بأبشع صورها وأنهم قد عادوا إلى الشكل
البدائى . بدون أي مظاهر للحياة المتطورة . وأن هذه الكارثة سوف
تؤدى بهم إلى نتائج أكثر سوءا . .

قال أحدهم مهددا :

- إنها مؤامرة . . ولن نسكت عليها . .

(٨)

فوجئ أهل «مدينة الحكايات» بالعجز يعود مرة أخرى ،

حاملا مخلته البيضاء على كتفه ، وكان ظهوره غريبا في تلك اللحظات بالذات فسرعان ما جاءت الأخبار عن مدينة «المتاعب» الراحة سابقا التي أصابتها الكارثة ، وضاعت منها كل مظاهر الحضارة والتكنولوجيا .

استوقف على بابا «العجوز وسأله» :

ـ ماذا تفعل هنا .. المدينة في كارثة ..

نظر إليه العجوز نظرة خالية من المعنى وهز رأسه بلا مبالاة وقال : إنهم يستحقون ، فهم لم يقدروا قيمة ما وهبهم الله من نعمة . واستوقفته أيضا «ست الحسن» وسأله :

ـ هل صحيح أن النساء فقدت ملابسها الأنثقة ..

هز العجوز رأسه بلا مبالاة وتسووجه إلى قصر حكيم مدينة الحكايات الذي فوجئ به يدخل عليه . عاجله الرجل قائلا :

ـ هل عرفت .. لقد سرق خصمك المدينة ؟

وهنا ألقى العجوز بالفاجأة الكبرى ، حين قال :

ـ بل أنا الذي فعلت ذلك ..

وبيرقت عينا « حكيم » مدينة الحكايات وهو لا يصدق ما يسمعه ، فمن المعروف أن هذا العجوز ينسليخ ويتحول إلى فارس بالغ القوة وشديد المراس ، حين يضطر أن يطارد « الشبع الأزرق » ،

خصمه اللدود ، كى يستعيد المعانى الكبرى التى يسرقها من المدن . مثلما حدث فى أكثر من مغامرة . . استعد الرجل وقال :
- ليس فى مدينة الحكايات لصوص . .

وسرعان ما فهم «العجز» ما يقصد الرجل لذا قال :
- اطمئن ليس هناك لصوص فى مدينة الحكايات . .
بدا كأنه يطمئن أنه لم يقم بسرقة التكنولوجيا من المدينة ، وهى عبارة عن تطبيقات العلوم ، نظر إليه كأنه يستفهم ماذا يقصد بالضبط . قال العجوز :
.

- لقد وصلت المدينة إلى حد كانت ستدمى فيه كل شيء . . إنه جنون استبد بالناس ، الذين لم يتباهاوا إلى أهمية مالديهم . .
وراح يشرح له أن الحرب المتطرفة بين الأطراف المتصارعة كانت ستدمى كل منجزات الحضارة ، وأنه قد تدخل لا يأخذ التكنولوجيا ويقوم بأخذتها . بل ليمنع إسالة الدماء وما أغلى دماء البشر . .

سأل «حكيم المدينة» : حستا فعلت . . لكن أين خبأتها . .؟
وكان الجواب غريبا وغامضا . .

(٩)

استبد الغيظ بالشبح الأزرق حاكم المدينة الزرقاء ، عندما عرف أن العجوز قد سبّه وسلّب مدينة «المتاعب» - الراحة سابقاً - مالديها من تطور وتكنولوجيا ، وقرر أن يثبت مكانته . صرخ وجاءت صرخته على شكل كلمات مسطّرة على الشاشة الموجودة على صدره :

— سوف أبيدهم جميعاً .. سأقتلهم .. أنا أعرف أن هذا يضيق أبناء «مدينة الحكايات» .

وأصدر أمره بتشكيل جيش ضخم من الجنود الزرق وأن يتسلّحوا بكل مالديهم من أسلحة متقدّرة يمكنهم بها الاستيلاء على سكان «مدينة المتاعب» ويتخلّذون منهم أسرى ويحولونهم إلى عبيد عليهم أن يصبحوا مواطنين صالحين في المدينة الزرقاء .

بدت الأحداث وكأنها فرصة رائعة للشبح الأزرق أن يحقق ما يريد وما يعتمل في صدره من شر . سأّل رئيس أركانه المسلحة :

— أخبرني .. كم لديكم من الجنود الزرق الآن؟

رد رئيس الأركان المعروف باسم «الدakan» :

— ليس لدينا سوى خمسين جندياً أزرق ..

بذا الأمر كانه الصاعقة نزلت على «الشبح الأزرق» . تساؤل :

-وأين الباقيون ..؟

وعرف الإجابة ، فالمدينة الزرقاء قد أرسلت الكثير من مواطنها إلى بقاع متفرقة من المدن من أجل أن يثروا المتابع بين الناس فيتحاربون ويتقاتلون وتنتشر رسالة المدينة الزرقاء الشريرة ..

أحس «الشبح الأزرق» بالحيرة ، فترى ماذا يفعل؟ هل يستدعي رجاله من مهامهم كي يشكل بهم جيشه القوى للسيطرة على مدينة «المتابع»؟

أحس بالتحدي وأنه يجب أن يستولى على المدينة المنكوبة بأى ثمن ، وركبه العند ، وقال لرئيس أركان حربه :

-أخبرنى كم يوماً أمامك كي تجمعهم ..
رد الرجل : أربعة أيام ..

تنهد «الشبح الأزرق» وقال مغناطساً :
-إذن ، أمامنا خمسة أيام كي نسيطر تماماً على مدينة «المتابع»
حسناً .. استدع رجالك فأمامنا مهمة عظيمة ..

(١٠)

وكان على العجوز أن يعود ثانية إلى مدينة «المتابع» ، وعلى وجه السرعة . بعد أن أحس بخطورة ما يمكن أن يحدث في المدينة . فسرعان ما تسررت الأخبار إلى «مدينة الحكايات» عما ينوي ،

«الشبح الأزرق» أَن يفعله ، وأنه قد صدرت الأوامر إلى كل الجنود الزرق بسرعة العودة إلى مدينتهم من أجل تكوين الجيش الاحتياطي للاستيلاء على مدينة «المتابع» .

ولم يكن هناك وقت للتفكير . بل للعمل .

ووسط الدهشة التي أصابتهم ، فوجئ أهالي مدينة «المتابع» بالعجز يظهر بينهم ، كان يرتدي ملابسه العادية التي يظهر بها عادة في شوارع المدن .

وعندما ظهر كان الناس قد استوعبوا الكارثة التي حلّت بهم لكن المشكلة أنهم أحسوا بفداحة الأمر ، كل الأطراف معاً ، وشعروا أن الأمر قد يكون سهلاً على أي كائن لم يتذوق طעם الحضارة لكنهم عرّفوا متعة الحياة مع منجزات التكنولوجيا والحضارة ، ولذا فليس من السهل أن يتّأقلموا مع هذا الوضع الجديد .

قال أحدهم :

ـ هل تعرفون كم نحتاج كي نعود إلى الأمس ..
ردت إحدى النساء الشهيرات : نحتاج إلى ثلاثة قرنا على الأقل ..

بدت كأنها تسد عليهم أي أمل . راحت المرأة تذكّرهم بما جنت أيديهم ، وقالت إن البشرية قد اجتهدت طوال ثلاثة قرنا من أجل

أن تصل إلى هذه المكانة ، وإن الحضارة الحديثة لم تكن وليدة حضارة دون أخرى ، فعندما توصل إنسان إلى شيء « مفيد » للبشرية ، فإن كل البشر يستفيدون منه .

قال مواطن آخر : لماذا لا تستورد الحضارة من المدن المجاورة ؟

وسرعان ما جاء الرد :

ـ لا .. فالكارثة من نصيبكم وحدكم .. وعليكم استعادتها بأنفسكم ..

ولم يكن المتكلم سوى رجل عجوز . بدت همجهة غريبة في ذلك الاجتماع البدائي الذي عقده أبناء المدينة فوق ربوة صخرية قاحلة . تحت قيظ الشمس الحارة .. نظروا إليه وقد علت الدهشة العيون . ولكن البعض أحس بارتياح لشكله .. لذا سأله أحد الحاضرين :

ـ هل تعرف الطريق ..

وتطلعت العيون إليه في قلق وهى تنتظر الإجابة ..

(١١)

قال العجوز :

ـ الطريق صعب ، وشروطه قاسية ..

بذا كأنه يفتح مسلكاً ويسد طريقاً بهذه الكلمات . لكن سيدة

قالت :

- هل هو أصعب من حياتنا الآن ..
قال العجوز، كأنه يملا قلوبهم بالملع والحسرة :
- ليست حياتكم فاسية الآن .. بل ستكون بالغة القسوة في
الأيام القادمة .

سأل أحد الرجال في عصبية : هل تواسينا أم تلومنا ؟
فجأة قاطعته إحدى السيدات : لكن أخبرنا من أنت
بالضبط ؟

ابتسم العجوز، ولم يتكلم راح ينظر إليهم بعينين هادئتين وكأنه
يرشى لأحواهم، ساد اللعنة بين الناس . وشيشا فشيشا عم المدوع
كان عليهم أن يسمحوا لهذا الغريب بان يتكلم فأسلوبه يبعث
على الشفقة والارتياح في الكلام .

ما إن ساد السكون حتى قال كأنه قد بدأ يتعلّك زمام الأمور :
- علينا أن نعرف خطورة ما يتظارنا .. كى نتعلم التضحية من
أجل الغد ..

كان يتحدث بنبرة غريبة . إنه يتكلم كأنه من سكان المدينة
المنكوبة . ورغم الخوف الذي يخواли أن يبيه في قلوبهم ، فإنه يضع
أملا في حل المشكلة .. قال أحد أبناء المدينة :
- هل سنتظير طويلا .. قرorna من الزمان مثلا ..

قال العجوز : لو انتظرنا أكثر من خمسة أيام فستضعف حدة الكارثة ..

وارتعدت القلوب . وكأنها تنتظر الحل . فلاشك أن خمسة أيام عمر قصير للغاية في حياة الأمم . وهم الذين يتوقعون أن يتظروا وأحفادهم قرروا طويلا ، هنا صاحت إحدى السيدات :

ـ أنا مستعدة للتضحية .. أن اموت في سبيل وطني ..

إنها امرأة من أنصار الفريق الثاني ، في تلك اللحظات قال رجل من الفريق الأول :

ـ وأنا .. مستعد للتضحية ..

قال العجوز : لن نضحي بأنفسنا .. بل بفلذات أكبادنا .. وارتجفت القلوب . فالصغار الذين يقصدهم هم المستقبل ، والأمل . فهل يضحيون بهم من أجل إنقاذ الموقف .؟ يالها من مخاطرة !!

(١٢)

قال العجوز :

ـ لن ينقذ المدينة سوى أبناء المستقبل .. حتى يتذكروا هذه المأساة ، ويتعلموا منها ويعلموها لأبنائهم .. لم يكن هناك وقت للتردد والتراجع . ف أمام حجم هذه الكارثة

المتطرفة ، راح الأهالى يفكرون فى أن يفعلوا شيئاً لم يعرفوا كيف ستكون التضحية ، لكن كان على الآباء من الفريقين أن يختاروا أربعة من خيرة الصبية كى يمارسوا اللعبة التضحية .
وبدأت منافسات من نوع جديد .

منافسات بين أبناء الفريق الواحد . بل بين أبناء المدينة التى تكاففت ونسخت أمسها المؤلم ، وأيضاً بين الصبية والبنات من أجل أن يدخلوا اللعبة التضحية . . وبدا أنه من الشرف أن ينضم الآباء إلى اللعبة الخطيرة المتطرفة . .

وأمام المنافسة الشديدة بين الأهالى ، وأيضاً بين الصغار ، ولأن الوقت لا يتسع لضياعه تم إجراء قرعة سريعة وقع فيها الاختيار على أربعة من الصبية والبنات الذين عليهم أن يدخلوا مصيرهم المجهول بنفس راضية . .

وأعلنت الأسماء : رانيا وشهيرة وحازم وفادي .

أقبل العجوز نحوهم وهو يبتسم ، بينما دقت القلوب رجفة ، فهل هؤلاء الصغار يتذمرون مصير مجهول ؟ هل سيصبحون قرياناً من أجل انتهاء الكارثة . لذا كان من الغريب أن يبتسم العجوز وهو يقول :

ـ هل أنتم مستعدون لأقوى مغامرة في العالم ؟

ردت رانيا : ماذا تقصد ؟

بدت كلماته غريبة ، فأبناء مدينة « المتابع ، السراحة سابقا ، لا يعرفون ماذا تعنى المغامرة . تصورها أحدهم شيئا خطيرا ، أما شهرة فقد تصورت أنها لعبة إلكترونية ستعود إليها من جديد . قالت إحدى السيدات : بلادنا مسحت الكلمة « المغامرة » من قواميسها منذ سنوات طويلة .

رد العجوز :

ـ إذن ، دعوهם لي .. سنجتاز المخاطرات الكبرى ..
وستمتع كثيرا . وأتعنى أن نعود سالمين ..
وبدت الحسرة في الوجه . فهذا العجوز يشكك في أن يعود الصغار من جديد ، ترى ماذا هناك بالضبط .

(١٣)

كان العجوز هو الشخص الوحيد الذى يعرف أين اختبأت مكونات الحضارة التى تناشرت في خمسة أماكن سرية بعيدة ، لا يعرف طريقة أحد سواه . ولن يعيدها أحد ، أيضا سواه .. ورغم المخاطر التى لامشل لها ، فإنه مستعد أن يصلح من غلطته باختطافه الحضارة والتكنولوجيا . وإطلاق سراحها كى تعود إلى أماكنها التى جاءت منها .



إنها هناك في أماكن بعيدة . متناثرة . . ومن الصعب تجميعها ثانية . . فهذه الأشياء الغالية قد تراكمت لدى البشر من ألف السنين ، الواحدة منها تلو الأخرى . ببطء شديد في أول الأمر . . ثم زادت سرعة اكتشافها ، وفي القرن العشرين ارتفعت نسبة السرعة لدرجة أن الناس أطلقوا عليه اسم قرن التكنولوجيا .

لذا فعندما اختفت لم يكن يتصور أن تجتمعها سيكون من دروب المستحيل . . إنها هناك مبعثرة في وديان تفصلها مسافات شاسعة مليئة بالمخاطر . .

ولحسن الحظ فإنه يعرف الطريق إلى أول واد . وادى الأحجار المقدسة إنه مكان بعيد ، لكن من السهل بالنسبة له أن يصل . هاموا الخوف لايزال يسيطر على الأصدقاء الأربع الذين سيرافقون العجوز في رحلته المثيرة . فلا أحد يعرف ماذا تعنى الأشياء التي ينطق بها ، خاصة حين قال :

— اسمعوا يا أصدقاءى . . لاتنزعجوا حين تروننى وقد انسلخت . .

بدت كلماته غريبة ، فماذا يعني بالضبط . . وكى يهون عليهم الأمر قال :

— أقصد عندما أتغير . .

وخارج مدينة «المتاعب» بدأت الرحلة . لم يكن أمامه سوى استخدام البساط الالكتروني الذي يسابق الرياح العاتية ، ويقطع المسافات الطويلة في أقصر الأزمنة .

وما إن طار البساط في الجو حتى ملأت الحسرة قلوب الراكيين عندما رأوا شكل المدينة من الجو ، وقد تحولت إلى كهوف حجرية كان يعرف أن عليه أن يعود قبل خمسة أيام من أجل مواجهة «الجيش الأزرق» الذي لا يمكن لشئ أن يصدّه سوى الإيمان والتطور والتكنولوجيا .

ولذا ، تولدت الرغبة قوية في أن يتحقق هدف الرحلة . وانطلق البساط بسرعة هائلة نحو اللازمان واللامكان ، إلى حيث بلاد الفنطازيا المثيرة الملائكة بالألوان المثيرة التي لم يسبق لبشر أن رأوها . والتي تخفي ، وراءها مغامرات أكثر إثارة من الخيال ..

(١٤)

إنها حرب حقيقة ولكن من نوع غريب ..
ففرسان ما صدرت الأوامر العليا لبناء «مدينة الحكايات» ان يتشاروا في المدن من أجل عرقلة عملية تجميع الجيش الأزرق ، وأصبح أمام كل مواطن من هذه المدينة مهمة مقدسة ، هي أن يمنع تماماً أعضاء «الجيش الأزرق» من العودة إلى بلادهم ..

انتشرت الأخبار عن طريق المتدوين السريين بين مدينة الحكايات والمدينة الزرقاء .. وعلم «الشبح الأزرق» بما تنويه مدينة الحكايات ، فأصدر أمره إلى رجاله بالتخليص فوراً من أي مواطن من هذه المدينة يشاهد في أي مكان في العالم .. في كل المدن والقرى والكفور ..

وبداً كان أول حرب من نوعها سوف تندلع بين المديتين الكبيرتين ..

وأحسن «الشبح الأزرق» أن عليه تغيير خططه تماماً . وأن يستولى على المدينة المنكوبة بأسرع وقت وبأساليب مغایرة .. فقال رئيس أركان حربه :

ـ لقد قررت أن أنتقم منهم بالتقنولوجيا الضائعة .. ساعيدها إليهم .. ولكن هل تعرف ماذا ساعيده؟ ساعيده لهم تكنولوجيا الدمار .. القنابل النووية والأسلحة الكيميائية .. ظهرت كلماته على الشاشة كأنها حروف النار تندلع .. وتندفع وأخيراً ضحك ، كانت قهقهته غريبة ، ورغم ذلك ابتسם رئيس الأركان ..

ياله من شرير فعلاً! لقد قرر أن يطارد العجوز من أجل أن يمنعه من إحضار كافة رموز التكنولوجيا المتناثرة هنا وهناك فهو

الوحيد الذى يعرف الطريق .. وكان فى نيته أن يحضر فقط الضار من التكنولوجيا ، لا يتناول بها فقط على المدينة المنكوبة .. بل ول يجعل العالم كله فى نفس الحال . يحارب بعضه ويسعى إلى الدمار .

وأمر بأن يخرج جنوده الخمسون الباقون فى المدينة معه . إنهم من حرسه الخاص ويعرف أنهم لا يرثون سلاحا ، إلا وحولوا المعركة التى يدخلونها إلى دمار حقيقى .
وبدأت المعركة المثيرة ..

(١٥)

تعمد العجوز أن يجعل الصغار يعيشون فى جو حالم ، مليئ بالمشاهد الوردية ، فهو يعرف أنهم أكثر سذاجة وبراءة من أطفال المدن الأخرى . ولذا فلم يحب أن يصدّمهم ، بل ود أن يجعلهم سعداء هائجين . فهو الوحيد الذى يعرف أى خطر هم مقبلون عليه ، إنهم جميعا غير مدربين على القتال والمواجهة وليسوا مستعدين للمغامرة . بل ولا يعرفون معناها ..

انطلق «البساط الالكتروني» بكل سرعته حاملا فوقه مجموعة المغامرين ولا يعرفون إلى أين يذهبون عدا العجوز الذى راح يدعو الله أن يوفقه في رحلته .

إنه يعرف أن «القط الشارد» الذى سلمه التكنولوجيا في خمسة أكياس مصنوعة من فتائل الذهب قد وصل الآن إلى هدفه وعليه أن يستعيد الأكياس الواحد وراء الآخر .

فجأة بدأ الأفق يتلون بلون قرمزي غريب الشكل هتف «فادي» :

-ماهذا .. انظروا ..

هلعت «رانيا» وهى تردد : يا إلهى . لم أر شيئاً مثل هذا من قبل ..

كان الأفق قد تحول تماماً إلى اللون القرمزي . وكان هناك حريقاً هائلاً قد اندلع صاحت شهيرة :
-كأنها غابة النيران ..

رد العجوز : بل هي كذلك فعلاً .

سأل حازم : هل سنطغى لها .. ؟

لم يشأ العجوز أن يغلف الأمور بغموض يزيد من حالة الحيرة ،
-بل سننشعلها !!

وكاد الصغار أن يرتدوا إلى الخلف . فهذا يعني أى خطر هم مقبلون عليه ، لم يكن هناك وقت للتراجع ، فالبساط الإلكتروني يندفع بقوة ، وكأنه سوف يقفز داخل الأفق القرمزي الذى أصبح

أكثر قربا . صرخت شهيرة :

ـ يا إلهي .. نكاد أن نحرق !!

ورد حازم هلعا : بل نحن نحرق .

كانوا قد دخلوا بالفعل داخل المنطقة الملونة ، وشاهدوا النيران
تتأجج كأنها سوف تجذبهم جميعاً نحوهم .

(١٦)

وبحركة باللغة المهارة . ارتفع «البساط الإلكتروني» إلى أعلى .
وأفلت باعجوبة من ذلك اللهب القرمزى الذى أطلقه التنين
الأعور نحوه .

لقد دخلوا وادى الحجر المقدس . الذى يحرسه هذا التنين
صاحب ألف لب ، فكل نفس ينطلق منه عبارة عنأسنان
النيران يمكنها أن تحرق أى شئ ، خاصة بمجرد أن يقترب أى
شخص غريب ..

هنا أمسك العجوز مكبر صوت صغير وانطلق ينادى :
ـ أيهما التنين . ألا تعرفنى . لقد أرسلت لك «القط الشارد»
ومعه الأكياس .

وهنا انطلقت صرخة التنين معبرة عن الفرح والكراهية ، ثم
جلجل صوته في الأفق ، وقال :

- رائع .. إنها بضاعتني رجعت إلينا ..

صاحب العجوز في مكبر الصوت :

- إنهاأمانة .. يجب أن نأخذها ..

بغضب شديد ، جاء صوت التنين الممزوج باللتهب المنطلق
 حول «البساط الإلكتروني» :

- قلت لك إنها بضاعتني .. الحجر المقدس سعيد الآن ..

إنه يتكلم بكل جدية ولا يمزح . إذن فالأمر جاد ، فهنا كان أول
 مكان عرف الإنسان فيه فائدة النيران ، وهنا قام أحد الأجداد ذات
 يوم بحک قطعتين من الصخر ببعضهما . واستطاع أن يولد أول
 شرارة نيران واستخدمها في تطوير حياته في الطهي ، والتدفئة
 منذ ذلك الحين وحتى الآن ..

إذن فالتنين الأعور على حق حين قال إن بضاعتني رجعت إليه
 فلاشك أنه سعيد لأن الشرارة الأولى رجعت إليه ثانية . تلك
 الشرارة التي توزعت في كل أنحاء العالم ، بعد أن عرفها الإنسان
 واستطاع بها أن يقيم أولى خطوات الحضارة .

كان هم التنين هو أن يبعد «البساط الإلكتروني» عن الوادي
 بأى ثمن ، لذا راح يزجر بكل مالديه من قوة فانطلقت النيران من
 حوله ، بل إنها لمسته ، ولو لا اندفاعه بكل قوة لاحترق . صرخ

الصغار في داخل البساط وصاح أحدهم في ذعر : .
ـ نريد أن نعود إلى بلادنا ..

ردت شهيرة :
ـ لأنريد أن نحرق ..

وارتبكت الأمور بزيادة الصراعات ، ويداً كأن العجوز سوف يمثل . وقرر أن يعود من حيث جاء أمام إلحاد الصغار .. إنها المرة الأولى في تاريخ حكايات الفنتازيا التي يقرر فيها أن يعود دون أن يتحقق هدفه ..

(١٧)

فجأة رأه بجيشه ..

إتهم قادمون وراءه .. إنه «الشبح الأزرق» وحرسه الأشداء ..
أحس أن معركة سوف تبدأ وأن أى مواجهة لن تكون أبداً في صالحه
فسوف يدفع هؤلاء الصغار حياتهم لو حدث أى اشتباك ..

وتوقف «البساط الإلكتروني» في الجو .. وأحس العجوز بحيرة وراح يفكر بسرعة ، وتنذر طارق بن زياد حين خطب في جنوده : «البحر من ورائكم والعدو أمامكم» ، ثم قرر أن يختار بين أمرتين إما أن يعرض الصغار لمعركة غير متكافئة ، أو يعود ثانية نحو وادي الحجر المقدس حيث توجد أول حجارة أشعلت النيران

فوق سطح الأرض .

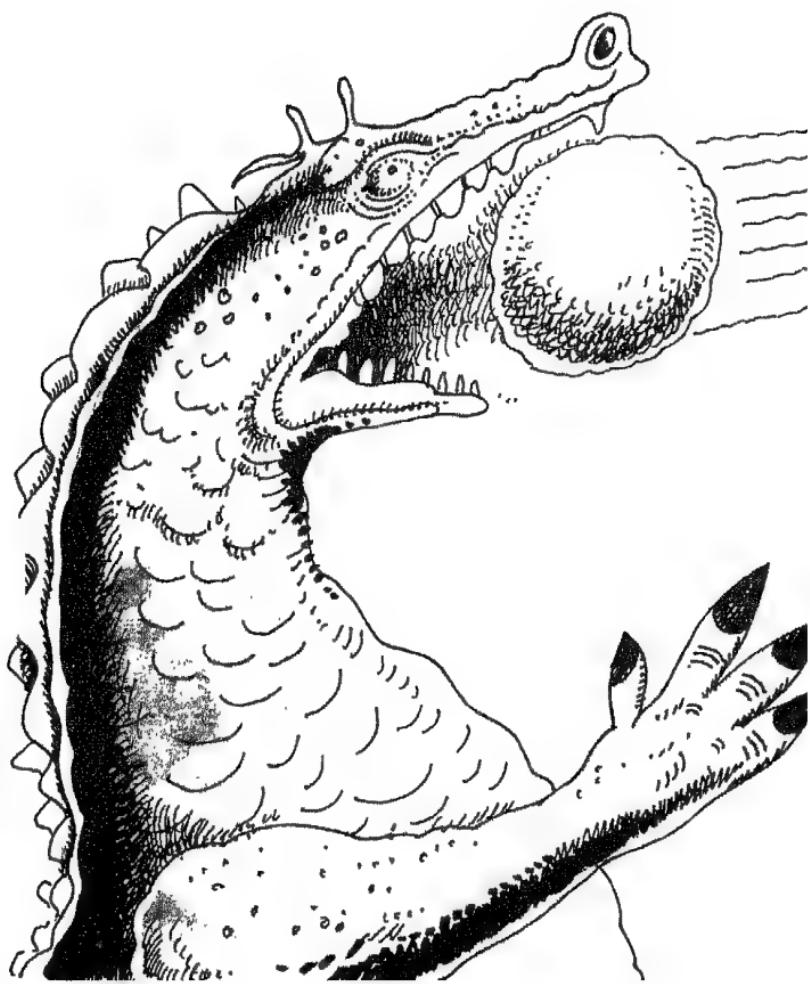
وقرر أن يدخل الوادي بأى ثمن ..

ودار «البساط الإلكتروني» نحو النيران القرمزية المنطلقة من فم التنين، وتحركت دوامة اللهب بسرعة، ووسط هلع الصغار كان أمام العجوز أن يتصرف وأن يجعلهم أكثر ثقة فيما يحدث أمامهم .
قال بصوت أحش لم يسمعواه من قبل :

ـ لاتندهشوا ..

ولم يستطع أن يمنعهم من الدهشة . وهل في إمكان أحد أن يمنع إنسانا من الدهشة؟ خاصة مجموعة من الصبية وجدوا أنفسهم أمام ثلاث مخاطر مثيرة للغاية . تلك النيران القرمزية التي توشك أن تطوّلهم . وذلك «الجيش الأزرق» الذي يطاردهم . ثم العجوز الذي لم يصبح عجوزا بعد ، بل راح ينسليخ إلى إنسان آخر ، يبدو مفتول العضلات قوى الجسد . يرتدي زي المحارب ، يمسك بين يديه سيفا ضخما لا يمكن لأحد أن يحمله إلا أبطال رفع الأثقال .

انتصب جسد «الفارس النادر» ثم راح يوجه سيفه نحو الأفق وبكل مالديه من قوة ، سحب طرف السيف الذي تحول إلى قوس ضخم في طرفه كرة بيضاء أشبه بالثلج . وبلغت الدهشة حدتها .



وهم يرون العضلات المنتفخة ، وهى تكاد تفجر أسفل جلد الفارس الذى أطلق السهم ، فانطلق فى الأفق محدثا صفيرًا عاليا . كان هذا المنظر وحده كفيلا أن يثير الرعب فى قلب «التنين الأعور» الذى استطاع بعينه الواحدة أن يرى كرة الثلج وقد تضخمـت كلما دارت فى الأفق ، وراحت تتناهى داخل اللهيب الذى يطلقه من فمه .

لم يمكنه أن يفكـر فقد أعجزـته الدهـشـة عن التـفـكـير . وـبـدا كـأنـه يـسـتـسـلـم لـمـصـيـرـه .

(١٨)

ارتـبـك «الـشـبـحـ الأـزـرـقـ» وجـنـودـه وـهـم يـشـاهـدـونـ الأـحـدـاثـ تـسـيرـ بـعـيـنـهـ السـرـعـةـ وـالـإـثـارـةـ . فـقـد اـنـطـلـقـتـ كـرـةـ الثـلـجـ بـكـلـ قـوـةـ نـحـوـ النـيـرـانـ . ثـمـ عـيـرـتـ اـتـجـاهـهـ بـسـرـعـةـ ، وـانـدـفـعـتـ نـحـوـ فـمـ التـنـينـ المـفـتوـحـ وـغـاصـتـ فـيـ أـعـمـاقـ جـوـفـ خـلـالـ ثـوـانـ قـلـيلـةـ .

بـكـلـ ثـقـةـ وـدـونـ أـنـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ الصـغـارـ رـدـ «الـفـارـسـ النـادـرـ» :
ـ هـذـهـ الـكـرـةـ الثـلـجـيـةـ تـنـمـوـ كـلـمـاـ اـقـرـبـتـ مـنـ النـيـرـانـ حـتـىـ تـحـدـثـ مـفـعـوـلـهـاـ .

بـدـاـ كـأـنـ «الـفـارـسـ النـادـرـ» قدـ قـلـلـ زـمـامـ الـأـمـورـ . وـعـلـىـ مـسـافـةـ غـيـرـ بـعـيـدـةـ وـقـفـ الـجـنـودـ تـحـتـ قـيـادـةـ «الـشـبـحـ الأـزـرـقـ» يـنـظـرـونـ فـيـ دـهـشـةـ وـالـذـىـ رـدـ فـيـ أـعـمـاقـهـ :

ـ آه .. لقد نسيت أنه واسع الحيلة ..

وتذكر المغامرات السابقة . فكم هزمه «الفارس النادر». لكن هذا لم يمنعه أبداً أن يطارده مجدداً، خاصةً أن تصديه هذه المرة يجعله في موقف حرج أمام اتباعه . وشعر أن القضاء عليه حتمي . رأى «الشبح الأزرق» كيف ابتلع التنين الكرة الثلجية ، وسرعان ما راح بطنه يؤلمه ، وبدأت أسنة اللهب في الخفوت شيئاً فشيئاً حتى تلاشى اللون القرمزى الذى غطى الأفق .

في تلك اللحظات صاحت رانيا :

ـ لقد اختفت الناران . !!

ردد الفارس النادر : لا تفرحوا .. فنحن لا نريد للنيران أن تنطفئ ..

وهنا تذكر الصغار ما ألم بمديتهم المتطورة ، إنها الآن محرومة من الناران ، ولاشك أن ذويهم يعانون كثيراً بدون هذه الناران . فجأة تنبه «الفارس النادر» أن خصميه اللدود «الشبح الأزرق» موجود وراءه فانطلق نحو التنين ، وأمسك مكبر الصوت وقال :

ـ أيها الأعور .. أين خبات الكيس الذهبي ..

لم يتمكن التنين من الرد ، فقد كان يتلوى ، وأخذ يتوعّد أنه سوف يتقمّن منهم جميعاً ، أما الفارس النادر فلم يكن لديه وقت

ليشرح أن الأمر جد خطير، فلاشك أن انطفاء النيران في هذا الوادى أمر بالغ الخطورة ، وهو يعني أن العالم كله كفيل أن يعاني من نقص في النيران وهو أمر بالغ الخطورة .
لذا عليه أن يعيد النيران بأقصى سرعة .. وأن يتصرف بحيث لا يصل «الشبح الأزرق» إلى الكيس الذهبى الذى عليه أن يضع فيه الحجر المنشود ..

اقرب البساط الألكترونى من التنين وسرعان ما انكشف الغطاء الشفاف الذى كان يغطيه ، وقال :
- اسمع يا أعور .. اعطنا الكيس الذهبى ..
وبيصوت يشير الرثاء ، قال التنين :
- لا تراني أتألم .. أخبرنى من أين جئت لي ..
.

وسرعان ماتم الاتفاق . بدت النيران كأنها ستختبو للأبد من بطن التنين وهنا ظهرت الأحجار في الوادى . إنها أحجار كثيرة متعددة الأشكال ذوات لون قرمزي مميز ، لكنها تكاد أن تفقد بريقها بعد أن خبت النيران ، أو تكاد في الأفق ..
أسرع «الفارس النادر» بالقفز من فوق البساط الألكترونى ، بينما بقى الصغار ينظرون في دهشة دون أن يكون لهم حول أو قوة .

أحس «الفارس النادر» بالأرض تأجج من تحته ، أسع بالتقاط حجرين كبيرين ثم التفت إلى التنين وقال وهو لاينوى أن يمسك بالحجرين :

ـ لاتكن عنيدا . اعطنى الكيس الذهبي .

إنه يعرف أن من المستحيل أن يمسك بأى حجر قرمزي بيده وأن الكيس الذهبي هو الشيء الوحيد الذى يمكن أن يوضع فيه الحجرين القرمزين .

إنه يتآلم بشدة ، فالكرة الجليدية تتحرك في أحشائه وتقاد أن تتمكن من إطفاء ألسنة النيران الأخيرة ، بدا التنين عنيداً للغاية ثم تمدد فوق الأرض ، بينما كان الجنود الزرق يرقبون المشهد كأنهم يتظرون اللحظة المناسبة للدخول :

فجأة سقط الكيس الذهبي ، صاحت شهيرة :

ـ انظر .. هذا هو الكيس ..

التفت الفارس نحو الكيس الذى سقط من أحد حراشيف التنين ، بدا لامعا ، أراد حازم أن يقفز كى يلتقط الكيس ، لكنه أحس بالنيران المتبقية تقاد أن تحرقه .

بدأ المنظر مهيا ، فهذه الأحجار تقاد تفقد بريقها ، وهذا دليل أن النيران بدأت تختبو ، إنه موقف بالغ الخطورة فعلا . بسرعة

اندفع «الفارس النادر» والقطط الكيس الذهبي ثم وضع فيه حجرين صغيرين ، وردد :
-هذا كيسى .. ٩٩ .

في تلك اللحظات ، عادت الأشياء تتحرك بإيقاع أكثر سرعة فقد أمر «الشبح الأزرق» رجاله بأن يطلقوا سهامهم نحو البساط الإلكتروني ، وان يدمروه من أجل الحصول على الكيس الذهبي بأى ثمن ، وفي نفس الوقت كادت النيران ان تخبو تماماً من الوادى ، ووجد الفارس النادر أن عليه ان يتصرف قبل أن تفلت الفرصة .

ولم يكن لأحد أن يعرف من سيكون المتصر ولا متى سيحدث في هذا الجو المتائج ؟

(٢٠)

وبكل سرعة ، أخرج سيفه وراح يوجهه نحو التنين ، وبكل مهارة داس على طرفه ، وقد تحول إلى قوس عملاق وسرعان ما استطاع أن يسحب كرة الجليد من بطن التنين الأعور الذى انتفض وانطلقت منه النيران التى حولت المكان كله إلى كتلة من النيران القرمزية .

صرخ التنين :

– سوف أريك أيها «الفارس النادر» .. سأحرقك .. وأطاردك
حتى نهاية العالم .

اندفعت ألسنة اللهب المتأججة من فم التنين ، بينما ارتبك
«الفارس النادر» الأزرق هذه المفاجآت غير المتوقعة ، وسيطرت
النيران على الأفق بينما صاح «الفارس النادر» كأنه يهدى من روع
رفاقه الصغار :

– لاتفزعوا .. سوف نهرب ..

وانطلق البساط الألكترونى ، يحاول الخروج من دائرة النيران
بأسرع وسيلة ممكنة . بينما بدا التنين كأنه قرر مطاردة الفارس ورفاقه
إلى نهاية العالم .

وفي داخل «البساط الألكترونى» ، كان التنين قد قرر أن يفعل
 شيئاً فعليه أن يعيىد على وجه السرعة الكيس الذهبي إلى مدينة
«المتابع» - الراحة سابقاً - من أجل أن ترجع النيران ، ولعل هذا
يعطى الثقة في قلوب السكان قبل مواجهة الجيوش الزرقاء والتي
يمكنها الحضور خلال الأيام القليلة القادمة .

قال يسأل :

– هل تعلمتم المغامرة ؟
رد فادى : إنها لذيدة .. بل رائعة ..

هل أنت مستعد للمغامرة وحدك ..؟

لم يشاً أن يرفض فقد وجد نفسه في قلب المغامرة، وأحس بطعم البطولة لأول مرة، لذا قال : اطلب وستجدني فارساً مثلك ..
قال الفارس : إذن عليك أن تعود وحدك .. ومعك الكيس الذهبي ..

لم يكن هناك وقت للقبول أو الرفض ، أو التردد . بسرعة أخرج «الفارس النادر» من مخلاه البيضاء مظلات جوية راح يضعها حول ظهور الصغار الثلاثة : رانيا ، شهيرة ، وحازم . ثم قال :

..اطمئن ، کل شیء مبرمیج ..

وترکوا فادی وحده وقفزوا في الفضاء وسط النيران المتأججة
والأخطار الحقيقة .

(۲۰)

كان مشهداً مثيراً للغاية . .

فقد دفعت الرياح الساخنة الناجمة عن النيران ، بالمتطلبات إلى



مسافات بعيدة بينها انطلقت الجياد الطائرة التي يركبها الجنود الزرق خلف المظلات ، أما البساط الألكترونى فقد اختفى تماماً عن الأنظار.

إنه مبرمج لكل المهام . . فيها ، إن ابتعد عن العيون حتى انطلق عائداً نحو مدينة «المتابع» حاملاً «فادي» ومعه الكيس الذهبي ويدخله الحجران القرمزيان ، من أجل إعادة النيران إلى المدينة المنكوبة .

وقف «الشبح الأزرق» في حيرة وهو يرقب المنظر ، ثم أشار إلى رجاله أن يطاردوا «الفارس النادر» دون أن يتبيّه إلى عددهم وأنهم نقصوا الآن واحداً . لقد تصور أنهم قد قفزوا في الفضاء بعد أن أحرقت النيران البساط الألكترونى .

وبينما أمر «الشبح الأزرق» رجاله أن يطاردوا الفارس ورفاقه ، أحس التنين الأعور بالغيط الشديد ، ليس فقط لأنه فقد الكيس الذهبي ، بل لأن «الفارس النادر» قد أصبح الآن بعيداً عن دائرة سيطرته . . لكنه ردّ :

– لاتفرج كثيراً يا «نادر» لقد وصلت إلى الوادي الأملس . .
وسوف أرسل لك صديقى الحميم «الديناصور العصبي» .
الوادي الأملس . ياله من مكان بالغ الخطورة . إنه هناك ممتد

على مدى البصر ، لا يمكن له أن يتهدى ، والذى يسقط فوقه سوف ينزلق إلى الأبد دون أن يتوقف . إنه مليئ بالمنحدرات الخطيرة ، وأيضاً بالسطوح الملساء الناعمة .

قبل أن تلمس أقدامهم الأرض ، صاح حازم :
ـ إنـهـ الجـيلـيدـ ..

ثم سقط فوقه وعلى الفور انزلقت قدماه واندفع يتزلق عليه ومالبث أن تبعه كل من رانيا وشهيرة . بينما صرخ «الفارس النادر» :
ـ حـذـارـ .. تـماـسـكـواـ ..

لم يكن يعرف أنه قد وصل إلى الوادي الأملس . بل كان يتصوره وسط الضباب الكثيف الذي خلفته التيران أنه سينزل فوق الوادي المنحدر . ولم يكن لديه وقت للدهشة ، ولا حتى للاستجواب فقد انزلق الأربع نحـوـ مجـهـولـ لاـيـعـرـفـونـ أـيـنـ نـهاـيـةـ بـالـضـبـطـ ..
وفي أعلى المنحدر انطلقت ضحـكـاتـ «الشـبـعـ الأـزـرـقـ»ـ الذي قـلـ أنـ يـضـحـكـ وهو يـرـىـ خـصـمـهـ اللـدـودـ قدـ وـقـعـ فيـ شـرـكـ لـامـخـرـجـ منهـ قـطـ .

(٢٢)

إـنـهـ وـادـ بـالـغـ الخـطـوـرـةـ ..ـ هـنـاـ حـيـثـ لـاـشـىـ يـمـكـنـ أـنـ يـفـىـ ثـابـتـاـ .ـ حـيـثـ لـاـيـوـجـدـ أـىـ اـحـتـكـاكـ يـمـكـنـ أـنـ يـمـنـعـ الـأـشـيـاءـ مـنـ الـانـدـفـاعـ .

ولذا انطلق الأربعة . . في البداية أصابت الصغار حالة من جنون الضحك ، تصوروا أنفسهم يتزلقون فوق الجليد ، وبدا الأمر كأنه لعبة جذابة تبعث على التسلية . ثم مالبشاوا أن أدركوا الخطر فهم لا يمكنهم التوقف منها كانت القوى التي تعترضهم . ولذا راحوا يصرخون . وتعالت صيحاتهم مثيرة للاشراق . . ولكن هذالم يوقفهم فكأنهم يضعون زلات في أقدامهم أو يلبسون عجلات صغيرة تحدركم . وراح القلوب تدق بعنف وصاحبوا جميعا :

ـ التجدة . . النجدة . . نحن في خطر !!

كان «الفارس النادر» يتزلج وراءهم ، وبدا كأنه فقد السيطرة على نفسه ، بينما طارت الجياد حاملة الجنود الزرق وزعيمهم «الشبح الأزرق» ، وقد أحسوا بالشدة الشديدة فيها يحدث لهم ، أدرك الفارس أن عليه ان يتصرف بأى ثمن . فلما شرك أن الصغار في حالة رعب شديدة .

و بينما الأمور تتحرك بهذه السرعة الجنونية اخرج سيفه المشوّق و راح يفرده في الهواء و تناولت مظلته وراءه . . ثم قفز بالسيف بكل مالديه من قوة .

علا السيف في الهواء . واقترب من الجياد الطائرة التي راحت تصهل في فرع شديد . صاح «الشبح الأزرق» :

ـ امسكوا هذا السيف .. إنه رمز القوة ..

لكن الجياد الخائفة لم تجرب على الاقتراب منه ، وهو في طريقه نحو الأفق ، ثم نزل من أعلى ، وانغرس في الأرض الملساء بينما اندفع الفارس النادر بكل قوته وقد بدت المظلة التي تعلق بها تعاند الريح . وبكل مهارة لاتعادلها أى مهارة في الدنيا ، تمكّن من ان يسابق الصغار واقترب من السيف المغروس في الأرض الملساء وامسّك به .

كان مشهداً مهيباً يستلزم عضلات أقوى من الجبال العالية ، بدت قوة الاندفاع متناقصة مع قوة العضلات واندفعت الريح تصرّر . وقبضت يده على مقبض السيف ، وتناثرت المظلة بحالها الطويلة لمسافة طويلة . ثم راح «الفارس النادر» يلف بكل مهارة حول السيف التفت أحبال المظلة ، حول سيقان الصغار بينما صاح «الفارس النادر» :

ـ تمسكوا .. حذار أن تقعوا ..

بذا المشهد مهيباً للغاية . وكان من الواضح أن الصغار لن يمكنهم أن يتماسكوا مع قوة الاندفاع الرهيبة ، رغم قوة أحبال المظلة .

(٢٣)

هبط «البساط الإلكتروني» فجأة فوق أطلال المدينة المنكوبة ..

و حول المدينة المنكوبة ، نقصد الكهوف ، اقتربت الذئاب تrepid
ان تبحث عن فرائسها . وكانت ذاتها جائعة . وتوقع أبناء المدينة
أن تقوم معركة غير متكافحة بينهم وبين الذئاب ، ولذا راحوا
يتناقلون معا ويلتفون حول بعضهم من أجل رد الخطط .

وَمَا إِنْ نَزَلَ «فَادِي» مِنْ فَوْقِ «الْبَسَاطِ الْأَلْكْتَرُونِيِّ» حَتَّى صَاحَ
فِي أَهْلِهِ وَأَبْنَاءِ الْمَدِينَةِ الْبَارِدَةِ الْمُظْلَمَةِ الْخَائِفَةِ :

– أبشر وافقد أخحضرت الحجر القرمزي ..

لَمْ يَتَبَيَّنُوا مِلَامِحَهُ وَسَطَ الظُّلَامِ . وَلَمْ يَفْهَمُوا شَيْئاً مَا قَالَهُ . لَمْ
يَتَصَوَّرْ أَحَدٌ أَنَّ النَّجْدَةَ قَدْ جَاءَتْهُمْ .

امسك فادى بقطعتى الحجر القرمزي ، وراح يقترب من الأرض حيث بقايا الأعشاب وقام بحک الحجرين معا بكل حماس وقوة ، حماس الذئاب التي كادت ان تقترب وهى تزار بوحشية وتنقاد تدخل من أبواب الكهوف العديدة ..

صاحب أم فادي غير مصدقة ماتراه .

لقد عاد . . . ايني . .

واندفعت نحوه في الظلام وقد تملكتها لففة الام أن تخمي ابنها

من الذبب القادم نحوه يكاد أن ينهشه ، بينما أخذ يمحك الحجرين بكل قوة فجأة اندفعت شرارة النيران نحو الأعشاب ، وسرعان ما اشتعلت ، بينما اقتربت الأم تحاول أن تمنع الشر عن ابنها .

وكانت مفاجأة أن اشتعلت النيران في الأعشاب . ثم راحت تتحرك في المكان ، وسرعان ما ارتدت الذئاب إلى الخلف خائفة من النيران .

عانت الأم ابنها وهي تبكي ، بينما غمرت الفرحة القلوب وهى تشاهد النيران تشتعل من حولها . فالآن يمكنهم أن يتذوقوا وأن يطردوا الذئاب وان يطهوا الطعام المتوفر لديهم ، وان يضعوا ذلك الحمل الذى ذبحوه وكادوا أن يأكلوه نيشا ، وجذب لحمه شهية الذئاب .

صاح رجل من أبناء المدينة وهو يشاهد هذه المعجزة الغريبة :
- يا إلهى .. لقد أعددت إلينا أول مظاهر الحضارة .. النار .
وراح يطلب منهم ان يجتمعوا للصلوة ، لشكر الله على هذه النعمة التي جاءتهم على حين بغثة .

(٢٤)

كان صوت «الفارس النادر» مهيبا ويدفع من يسمعه أن يسترد ثقته بنفسه ، ولذا تماسك الصغار المتزلقون ، ولم يقع أحد منهم فوق الأرض حين التفت الأحبال حول سيقانهم وقعنهم من

الاستمرار في الانزلاق . صالح الفارس :

- رائع يا أبطال !!

أحسوا أنهم أبطال فعلا ، بينما شعر الفرسان الزرق أن الفرصة قد حانت كى يصطادوهم من أعلى ، فسأل رئيس الأركان «الشبح الأزرق» :

- سوف نرميهم بالنيل .. مارأيك ؟

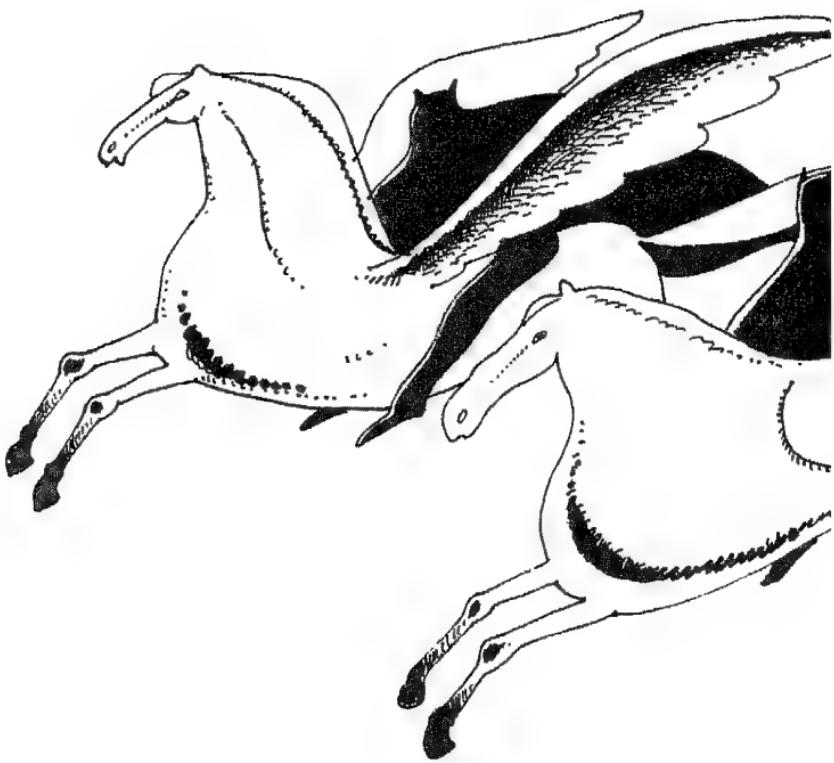
وجاء رد «الشبح الأزرق» حازما على شاشته المعلقة على صدره :

- ليس قبل أن نحصل على العجلة الحديدية ..

لم يكن هناك وقت للرد ، ففى تلك اللحظات تحطمـت القـشـرة الأرضية تحت السيف المغروس فوق السطـحـ الأمـلسـ ، وتكسرـتـ تماماـ ويداـ كـأنـ هـنـاكـ وـحـشـاـ عـمـلاـقاـ رـاقـداـ هـنـاكـ ، وـأـنـ السـيفـ قدـ انـغـرسـ فـيـ ظـهـرـهـ ، فـأـيـقـظـهـ مـنـ نـوـمـهـ الطـوـيلـ .

تكسرـتـ القـشـرةـ وـرـاحـ الصـغـارـ يـنـقـلـبـونـ فـوـقـ المـنـحدـرـ الذـىـ صـنـعـهـ ذـلـكـ الـوـحـشـ الـعـلـاقـ الذـىـ كـانـ نـائـماـ فـيـ تـجـوـيفـ الجـبـلـ . وـتـعـلـقـ «الفـارـسـ النـادـرـ» بـسـيفـهـ فـارـتفـعـ مـعـهـ حـينـ نـهـضـ الـوـحـشـ وـنـصـبـ قـامـتـهـ الـعـالـيـةـ ، بـعـدـ أـنـ أـزـاحـ عـنـهـ كـلـ الـوـادـيـ المـنـزـلـ ، وـرـاحـ يـزـجـرـ بـيـنـهاـ هـتـفـ «الفـارـسـ النـادـرـ» :

- يا إلهي .. إنه الـدـيـنـاـصـورـ الـعـصـبـىـ ..



وياله من عصبي ذلك الديناصور العملاق ، خاصة حين ينغرس السيف في ظهره ، تحرك ذات اليمن وذات اليسار بكل غضب ، وكأنه يتالم من الغرس الذي في جسمه . وهو يحرك رأسه كأنه غير قادر على السيطرة على الموقف .

دفع ذيله بكل عنف ، يريد أن يضرب به «الفارس النادر» لكن ذيله لم يطله . حاول أن يهتز بكل قوة لعله يسقطه ، لكن الفارس وضع كل قوته في يديه ، وتعلق بالسيف كأن هذه هي الطريقة الوحيدة لعدم السقوط من أعلى .

ووسط محاولته للسيطرة على الموقف كان ينظر نحو المنحدر ورأى الصبية يتلقون ، فأحس أن عليه أن يتدخل قبل أن يتفاقم الأمر . ولكن الأمر بدا وكأنه فلت زمامه ، فها هو الديناصور قد بلغ به الغضب أشدّه . وهو على استعداد أن يدهسه ، حتى وإن اضطر أن يرقد فوق الأرض ويحطمها تماماً .

وبالفعل سرعان ما ارتفى فوق الأرض ، وكأنه يود أن يتخلص من آلامه حتى ولو اضطره أن يفعل أي شيء مجنون في الدنيا .. وبينما هو يرتفى نحو الأرض أشار «الشبح الأزرق» إلى رجاله أن هذه هي الفرصة الأنسب للتخلص من خصمه الأزلي «الفارس النادر» .

(٢٥)

قبل أن يرثى «الديناصور العصبي» فوق الأرض . أطلق أحد الجنود الزرق من مسدسه الليزر طلقة أصابت الديناصور في كتفه فانطلق يزجر واشتد غضبه ، ولم يكن أمام «الفارس النادر» سوى ان يقفز من أعلى بكل مالديه من مهارة .

ووسط غضبه تمكن الديناصور أن يمد زوايده ، وان يسقط ثلاثة من الجنود الزرق فوق الأرض ، وسرعان ما تولدت لديه رغبة قوية في الانتقام وشهوة للثأر ..

لكن «الفارس النادر» ، كان قد وصل في تلك اللحظات نحو أرض المتضرر سالماً بعد أن هبط مستخدماً عباءته كمظلة ، وأصبح كل همه أن يوقف انحدار الصغار بكل ما لديه من قوة .. كان أهم شيء بالنسبة له هو أنه استطاع أن يتخلص من المأزق ، وأن يخرج سيفه من جسد الديناصور الذي ظل نائماً تحت سطح الوادي الأملس عشرات الألوف من السنين ..

الآن ، هذا هو «الديناصور العصبي» ، وقد استبد به الغضب يريد أن ينتقم من أي يقظه بأى ثمن . لذا اسع نحوه يريد أن يدهسه تحت قدميه وجسمه الثقيل ، وبدا كأن سباقاً شرساً قد بدأ ولن ينتهي ..

مرة أخرى ، فكر في أن يلقط الصغار قبل أن يلحق السوء بهم ، ولما كان قد تخلص من مظلته ولم يعد أمامه سوى عباءته ،

فإنه راح يشرها في الهواء وتطاير معها ، حتى وصل إلى سفح الجبل وأخذ يتنتظر وصول الصغار الذين كانوا ينحدرون بشدة .

قالت شهيرة لاهنة بعد أن التقاطها الفارس :

- ماذا حدث . ؟ نكاد أن نموت ..

وهتف حازم : الحمد لله .. لقد وصلنا ..

قال «الفارس النادر» : لا .. بل لم نبدأ بعد ..

كان قد تمكن من التقاطهم بمهارة ، ورغم أن بعض الجروح قد بدت على وجه رانيا فإن «الديناصور العصبي» الذي أصبح أكثر قرباً منهم دفعهم إلى الجري في الوادي .

إنها مطاردة غير متكافئة ، فخطوة واحدة من هذا الحيوان العملاق تساوى كيلو متر واحد تقريباً ، ولذا فإنه يمكنه أن يلحق بهم بسهولة . ورغم سخونة المطاردة فإن الخوف استبد من جديد بالصغار ، وهم يحسون بالخطر يقترب منهم .

صاح الفارس وكأنه يحاول أن يزيد من عزيمتهم :

- تشجعوا يا أصدقاء .. كدنا أن نقترب ..

أحسوا كأنه يمزح فهذا يقصد بالضبط .. هل يقصد أن الوحش قد اقترب منهم ، وأنه سوف يفترسهم بأسرع مما يتصورون ؟

فجأة لاح الأمل .

وأشار إلى عربة تبدو قديمة ، وكأنها مهملة منذ سنوات طويلة .

صاح :

ـ أسرعوا .. لقد ظهرت ..

حاول أن يجعل خطواته توازى خطوات الصغار الذين يلهثون .

تساءلت رانيا وهى لاتزال تجرى :

ـ ماذا تقصد .. إنها عربة قديمة .

قال بنفس ، اللهجة : الغريق دائمًا يبحث عن قشة يحاول أن يتعلق بها .

في تلك اللحظات ، كاد الديناصور إن يدوس فوق حازم ، لكن الصغير دفع نفسه وقفز بعيداً عن الخطير ، في نفس اللحظة نجح الفارس أن يدفع بكل من شهيرة ورانيا فوق العربية ، وصاح :

ـ قوموا بتشغيلها حتى أشاغل الديناصور .

والتفت نحو «الديناصور العصبي» ، ثم أخرج سيفه مرة أخرى ووقف في مواجهته ، كأنه سوف يقاتلها ، وقال وهو يدرك خطورة الموقف موجهاً كلامه إلى حازم :

ـ أسرع إلى العربية .. أنا قادم ..

و قبل أن ينتهي من كلامه ، رمى بالسيف في الهواء فتحرك أمام عيني الحيوان ، وبدا كأنه ضوء ساطع راحت تشغل الحيوان التائر

فتوقف عن الحركة وبدأ متبعاً إلى السيف الذي أخذ يدور في الهواء
عده مرات .

في تلك اللحظات كان الجميع قد ركب العربية القديمة وراحت
شهيرة تدبرها فهي تعرف جيداً كيف تتصرف ، وكم ادارت مثلها في
مدينة الملاهي . صاح «الفارس النادر» الذي ركب في الخلف :
- أسرعى قبل فوات الأوان ..

وراحت العربية تتحرك . وفي تلك اللحظات سقط السيف من
أعلى ، فمد «الفارس النادر» يديه خارج العربية ، وتمكن من التقاطه
بيدهما انطلقت العربية بكل سرعة ..

كانت مطاردة غريبة فعلاً لكنها غير متكافئة . ليس لأن
الحيوان علائق ، وله اقدام ضخمة يمكنها أن تدهس العربية
ولكن لأن هذه العربية ذات العجلات القوية يمكنها أن تدور
بسرعة . وأن تتحرك تندفع فوق الأرض وتسقى الديناصور عشرات
المرات ..

وبالفعل . فما إن انطلق «الдинاصور العصبي» خلف العربية
حتى بدا كأنه سوف يدهسها في أول الأمر ، لكن مالبثت السرعة أن
زادت وابتعدت العربية إلى مسافة كبيرة . ولأنه ديناصور عنيد
للغاية ، فلم يتوقف عن الجري خلف العربية البعيدة وبدأ يلهمث
بسخة . وحاول أن يقذفها بحجر ضخم ، لكنه لم يستطع فقد بدا



كأن قوته قد خارت.

توقف فجأة عن المطاردة، كأنه يندب حظه، فهو لن يتمكن
أبدا من النوم في الوادي الأملس تحت الطبقة الجليدية، وقرر أن
يعود ثانية ربما يمكنه أن يفعل ذلك بعد مئات من السنوات
الباردة..

(٤٧)

ضحكوا جميعا، وكان لضحاكاتهم أكثر من معنى.
الآن ها هو العجوز قد انسلاخ ثانية، ويجلس في المقعد الخلفي
للسيارة، ويقول :

ـ الحمد لله.. لقد حصلنا على العجلة..

ثم راح يشرح أن البشرية قد تطورت عشرات الدرجات يوم أن
عرف ابناؤها أهمية العجلات، فلو لاها ما تمكنوا من الإفلات
بسهولة من الديناصور العصبي. قالت رانيا :

ـ أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت..

سألها : هل عرفت إلى أي حد المغامرات ممتعة؟
هزت رأسها بالإيجاب، بينما قالت شهيرة : أما أنا فقد
تعيت..

قال العجوز : مهمتك قادمة.. سوف تعودين بالعربية إلى
المدينة.. وهناك ستتغير الأمور..

أخبرها أن مهمتها شاقة . فعليها أن تعود بكل سرعة بواسطة العربية ذات العجلات ، فلعل هذا يفيد المدينة في فك محتتها ، فلاشك أن عودة العجلات سوف تساعد الناس في أن يواجهوا القوات الزرقاء القادمة .

وكان على شهرية أن تركب العربية وأن تسرع بها ، وفي تلك اللحظات وقف الجنود الزرق يتطلعون من أعلى الجبل . وأشار «الشيخ الأزرق» انه يجب منع العربية من الانطلاق ، وامر بأن يسرع عشرة رجال خلفها بالجihad الطائرة ..

وما إن انطلقت شهرية بالعربة في الطريق الذي رسمه لها العجوز ، حتى اندفع الجنود وراءها ، هنا رفع حازم عينيه وقال : «هؤلاء الرجال أشرار .. إنهم يطاردون العربية .. ضحكت العجوز ضحكته الجذابة وبدا كأنه يطمئن أن رانيا سوف تتصرف بذكاء .. ثم قال :

ـ لقد توقفنا قليلا والتقطنا أنفاسنا .. لكن الرحلة طويلة .. سألت رانيا وهي تتطلع إلى الأفق في الجهة الغربية ، أى عكس الجهة التي سارت فيها شهرية :
ـ انظر .. ما هذا ؟ ..

كانت توجه كلامها إلى العجوز ، فهو الذى يعرف ماذا هناك .. نظر الشثلاثة إلى قطب عال . بدا أشيه بعمود أثري أسود

غريب . قال :

- حسنا .. لقد رأيناها .. يجب أن نذهب إلى هناك .. إنه القطب الموجب .. هي بسرعة ..

ثم تطلع إلى أعلى حيث يركب «الشبح الأزرق» ورجاله الجياد الطائرة، بدا كأنه يتمنى أن يكون لديه أحد هذه الجياد بعد أن تخلص من كل من البساط الإلكتروني ، والعربة ذات العجلات ثم عتم :

- أتمنى ألا يصل إلى هناك قبلنا ..

ولم تفهم رانيا شيئا، أما حازم فبدا كأنه يتذكر متى سمع هذه العبارة «القطب الموجب» ، لكنه لم يتمكن من التذكر .

(٢٨)

في تلك اللحظات ، انطلقت الجياد الطائرة العشرة وراء عربة شهرة ، وحاول الجنود الزرق أن يمسكوا بها كى يمنعوها من الوصول إلى هدفها ، وبالفعل فقد كادوا أن يقتربوا منها ، ولكن ما إن لامسوا العربة ، حتى بدت كأن قوة غريبة قد دمستها فانطلقت تسعة بشكل أثار دهشتهم .

وحاولت الجياد أن تلحق بالعربة المنطلقة ، ولكن هيهات فقد سبقت الريح ، ولأن أوامر «الشبح الأزرق» باللغة الحدة فإن الجياد لم تكف عن المطاردة .. ولذا أصاب الجياد تعباً تساقط الواحد



منها تلو الآخر .. وما أقصى أن يتتساقط الجحود ..
ووصلت شهيرة بعد ساعات قليلة إلى مديتها المنكوبة ..
كانت المدينة في تلك اللحظات تمرا بأزمة جديدة ، فاليأس قد
استبد بالناس ، صحيح أنهم تمكنوا من إشعال النيران لكن لم يكن
هناك صيد ولا وسيلة للتجوال في الأماكن القرية من أجل إحضار
الصيد الثمين .

وعندما وصلت شهيرة إلى المدينة ، كان أحد الشيوخ قد أصيب
بتعب مفاجئ . وظن الناس أن الطاعون سوف ينتشر في ظل هذه
الظروف القاسية ..

وخف الناس أن يمسوا المريض .. وتمنوا أن تأتي العجزة
لنقله بسرعة بعيداً عن المكان . وما إن سمعوا صوت العربية حتى
صاحت أحدهم :

- انظروا .. لقد جاءت النجدة !!
لم يصدقوا ماتراه أعينهم ، انطلقوا يستقبلون شهيرة بحفاوة بينما
راحت أمها تبكي من الفرحة ، لأنها لم تكن تتصور أن تعود ابنتها
سالمة بل ومعها تلك العربية التي هي مؤشر خير .
صاحت أحد الرجال :

- بسرعة ، احملوا المريض هنا ، واذهبوا به إلى الطبيب في المدينة
المجاورة .

واستعبد الناس الفكرة .. وبعد قليل دارت أول عجلة منذ يومين في المدينة ، وكان ذلك إيذاناً بعودة كافة أشكال العجلات إلى المدينة .. بدا ذلك بالرحابة القديمة التي كانت تطحن الحبوب ثم عجلات العربات والسيارات والقطارات والطائرات وأيضاً الترس موجودة في الساعات والأجهزة الكهربائية والمصانع .
وبدأ أحد أهم أسباب التكنولوجيا يعود إلى المدينة .. وعمت الفرحة القلوب .. لكن كانت هناك أشياء كثيرة ضائعة .. فرغم وجود العجلات فإن الكثير من الأشياء لم تتحرك ..
وبدت كأنها غير موجودة .. لأنها يجب ظهور شيء ما يحركها ..

(٢٩)

لذا كان على العجوز أن يسرع في طريقه .. وأن يصل إلى هدفه قبل الأوان .

كان عليه أن يصل إلى «وادي القطبين» بكل سرعة . ولم يكن الأمر سهلاً، فهابي الجناد الطائرة الباقية يمكنها أن تنطلق وتسبيقه .. فكر فيما عليه أن يفعله ، لقد سبق أن استخدم في مرة سابقة الزلاقات ، ولكنه لا يحب أن يستخدم نفس الشيء مرتين .

أشار العجوز إلى «الشبح الأزرق» ، وصاح :

ـ أنت يا أزرق .. لا تقرب من هذا الوادي .. إنه لـ ..

أوقف «الشبح الأزرق» حصانه الطائر وبدا كأنه يوكل رئيس أركانه «الداكن» أن يرد نيابة عنه، فقال :

— الرسالة وصلت يانادر . نحن نعرف مني خطورة هذا الوادي . ولذا سنهديك أحد الجياد الطائرة . . نحن لأنزيمه . . لم يفاجأ العجوز بهذا الكرم . فلاشك أن «الشبح الأزرق» يعرف أن من يدخل هذا الوادي لن يعود ثانية منه ، وهو المعروف في قصص الفنتازيا بوادي الصواعق . حيث لا يوجد شيطان متلقان أبدا . وهناك تطاحن دائم بين الأطراف . . وياويل من يمشي تحت المسافة الواقعة بين القطبين الأسودين : القطب الموجب . والقطب السالب . .

قال العجوز مشيرا إلى «الشبح الأزرق» :

— نشكر لك كرمك . . وأعرف أنك حريص على الحياة . . سأترك لك الجواد حتى لايموت من الصاعقة .

في تلك اللحظات ، بدأت السماء تتلبد بالغيوم ، قال العجوز :

— سوف يسقط المطر خلال ساعة . . وستكون كارثة . . لم يفهم حازم ورانيا ماذا يقصد بذلك لكن لاشك أن أي كارثة ستكون أخف وطأة مما أصاب مدينتهم ، لم يكن هناك وقت للإجابة ، فقد رأى شيئا يلمع في الأفق . جذب انتباهه بشدة .

صاح :

– ياللهول . !! القطب يلمع .. يجب أن ننسع .
ولم يكن هناك وقت للتفكير ، التفت إلى قوات «الشبح الأزرق»
وقال :

– اهرب من هنا . وإلا سيلحقك الدمار .
ومن جديد ضمحل «الشبح الأزرق» فلاشك أن خصميه الأزلي
يود له النجاة ، في تلك اللحظات هبط أحد الجنادطائرة أمام
العجوز . ولم يكن أمامه سوى أن يركبه ، وينطلق به نحو الوادي .
قبل أن تفلت الأمور من بين يديه .

وأسع الثلاثة يقفزون فوق الجواود الذي طار بهم بسرعة نحو
بوابة «وادي الصواعق» . وهناك كانت المفاجأة في انتظارهم .

(٣٠)

في تلك اللحظة التي انطلق فيها «الجواود الطائر» عائداً إلى مكان
آمن ، رأى العجوز امرأتين تبكيان بحرقة شديدة ، كانت إحداهما
تبعد عملاقة بشكل ملحوظ وتوقف على البوابة اليمنى ، أما الثانية
فإنها تبدو قزمة ، وتوقف عند البوابة اليسرى .
ما إن رأت المرأة العجوز حتى أسرعتا نحوه ، وقالت
العملاقه :

– أيها الرجل العجوز . يبدو أنك طيب . ارجوك انقذ ابني .

والغريب أن المرأة القزمة قالت نفس الكلام . اندھش حازم ورانيا ، ورق قلب كل منها وھما يتذکران ذويها الذين يتلهفون حتیا على عودتها . قالت الأم الأولى :
-ذهب ابنتي لشحن القطب الموجب ..

وأكملت الثانية : وابنى ذهب لشحن القطب السالب ..
أحس العجوز أن الأمر بالغ الخطورة ، وسرعان ما عرف الحکایة ففي «وادي الصواعق» توقفت الحروب بين أبناء الطائفتين اللتين تسکنان الوادي : الأقزام والمعلاقة منذ عام مضى . وهما تتجدد مرة أخرى مع اقتراب موسم الأمطار . فقد ذهب جميع الشباب من الأقزام إلى حيث يوجد القطب السالب وعليهم القيام بشحنته ، بكافة الشحنات الكهربائية المحبوبة في أرض الوادي حتى يعود إليه لمعانه . ويصبح مهیئا لأن يطلق صواعقه نحو القطب الموجب الذي سيصبح بعد دقائق في قمة تألقه ولمعانه ، بعد أن تم شحنته بكافة الشحنات الكهربائية الموجبة .

قالت الأم العاملة :

-في العام الماضي مات الكثير من أبنائنا في معركة شرسه ..
ثم قالت الأخرى : ولا نريد أن يموت أبناؤنا هذا العام .
وهماي الأمطار ستسقط بعد قليل . وبينما هما تتکلمان كانت عضلات العجوز قد بدأت تشتد وتنقى ، وتندفع الدماء الحارة في

الشرايين ، قال للمرأتين :
-أحاول .

قالت العملاقة : هناك نبوعة أن رجلا غريبا سيأتي هذا العام
وسيأخذ الشحنة المركبة معه . وعلينا أن نساعدك ..
دفعت القزمة بكيس صغير وقالت : خذ ، هذه ستفيدك ..
فأنت الرجل الذي رأيته في أحلامي ينقذ ابني .
وامسك الفارس النادر بالكيس ، ونظر إلى السهام الملبدة بالغيوم
وتحسّن وجهه ، وقال :
-لقد سقطت أول نقطة مطر .. إلى اللقاء ..
كان عليه أن يلّم بالأمور قبل أن تقلّت من بين يديه ، هتفت
«رانيا» وهي تراه يبتعد :
-ألن نأتي معك .. ؟
رد : اذا لم أعد .. فلا تتوقا عن المغامرة ..
وكان رده أبلغ دليل على خطورة الأمر . فترى هل سيتمكن من
العودة ثانية ؟

(٣١)

بدأ السباق الرهيب مع الزمن ..
فها هو المطر يتتساقط .. وهما هو الوادي قد تلبد بالغيوم

واختفت الشمس ربياً لأيام طويلة قادمة . وفي طرف الوادي يقف القطبان كل منها شامخ يلمع كأنه يستعد للمواجهة . على الطرف الأيمن . راح الشباب العمالقة ينشدون أغانيات الحرب . وقد استبدت بهم رغبة مثيرة في أن يتتصروا على منافسيهم ، من أصحاب القطب المقابل ، وتصوروا إنه كلما زادوا من الشحنات الموجبة أمكن لقطبهم أن يطلق شرارة تغلب بالضريمة القاضية الطرف الآخر .

أما الشباب الأقزام فكانوا يتسمون بعناد شديد ، وبكل ثقة في النفس ، راحوا يدفعون آخر الشحنات السالبة في قطبهم اللامع وأخذوا يتأملون السماء وهي تسقط أمطارها ، التي بدأت تزداد غزارة ..

تساقطت حبات المطر فوق القطبين ، واستعد كل منها أن يطلق شحنته بينما اصطدمت السحب ببعضها بقوة شديدة ، وفي تلك اللحظات المثيرة انطلقت أول إشارة رعد من بين السحب سبقتها صاعقة صغيرة .

وعلى الطرفين راح كل جانب يهلل :
- النصر لنا .. النصر لنا ..

وما إن انطلقت الصاعقة الصغيرة حتى كان ذلك إيداناً بتوليد شحنة من الصواعق الكبيرة ، بدأت تحرك الشحنات الكامنة في



القطبين المتباعددين المتنافرين ، وكان ذلك إيذانا بشحن القمم بالشحنات .

في تلك اللحظات كان الفاوس النادر قد أسرع بكل ما يملك من قوة ، واختار أن يصل إلى نقطة المتتصف بين القطبين . كان يعرف أنه لا يمكن لأحد أن يفكر من أبناء الوادي في أن شخصا غريبا قد وصل إلى هذه البقعة الغارقة في الأمطار ، وكأنها مركز الصواعق .

وقف يتأمل الشارة العظمى تستعد للانطلاق من القطب الموجب ، وعلى الطرف الثاني رأى شارة باللغة القوة تنطلق من القطب السالب . إنها الشحنة الخارقة التي لا تنطلق سوى مرة واحدة في السنة ، وهي كفيلة لو التقت بالشحنة الموجبة أن تحدث أثرا قويا يمكنها أن تکهرا كافية الكائنات الحية في الوادي ، وقتلنهم جميعا .

فكرة فيها عليه ان يفعل ، لم يكن قد اهتدى بعد إلى ما يمكن أن يفعله كى يمنع الكارثة لكنه فجأة تذكر المرأة التي اهداه صندوقا صغيرا . إنه لا يزال يحمله وأحس أنه يمكنه الاستفادة منه لكن ترى ما هذا الصندوق حقا ؟

(٣٢)

هتف فجأة . يا إلهى .. لقد اهتديت إلى الفكرة ..

وتحركت الأحداث بسرعة . وأسرعت الشحتان كل منها نحو الأخرى لأن الصاعقة العملاقة سوف تتولد وتصيب الوادي بكارثته الأخيرة ، فجأة أخرج سيفه وراح يطعن به الهواء . وبيده اليمنى دفعه نحو الأعلى . أما يده اليسرى فقد امسكت العلبة البلاستيكية ، وراح يثبت قدميه في الأرض بقوه كأنه يعرف أن ما هو قادر عليه يحتاج إلى جبل راسخ حتى لا يتحرك . لا يتحرك من هول الصاعقة .

وانطلق نصل السيف في الفضاء ، وبكل سرعة راح يتمدد لأعلى وأصبح النصل عريضا ، كأنه مرأة لامعة مستعدة أن تستقبل هاتين الشحتين العملاقتين على طرف النصل .

وبالفعل اندفعت الشحنة الموجبة نحو طرف النصل الأيمن واندفعت الشحنة السالبة نحو الطرف الآخر وبكل مهارة استطاع «الفارس النادر» وهو يغالب كل هذه العوامل الجوية القاسية ، أن يلتقط الشحنة العملاقة في طرف سيفه ، وسرت في الصلب النادر المصنوع منه السيف وبكل مهارة أيضا فتح العلبة البلاستيكية التي أخذها من المرأة القزمة ، والتي بداخلها بالشحنة العملاقة وسرعان ما راح يغلق العلبة وهو يتنهد ويصبح :
- يا إلهى .. أخيرا !!

كان كل شيء قد تم بمعجزة خارقة ، فقد كل من القطب

الوجب والقطب السالب شحنته التي لن تعود إليه إلا بعد سنة كاملة ، وأنقذ الوادي من كارثة حقيقة لن تتكرر في الزمن الحالى . ورغم أن المطر لم يتوقف ، فإن الأمور بدت هادئة وكان على الفارس النادر أن يسرع إلى بوابة المدينة من أجل أن يرسل الشحنة العملاقة إلى المدينة المنكوبة مع أحد الصغيرين .

وعند بوابة المدينة ، قابلته كل أم بسعادة بالغة ، راحت كل منها تعانق الأخرى بتأثير باد وكان هذا مشهدا غريبا طريفا للغاية ثم التفت الأم العملاقة إلى « الفارس النادر » الذي عاد إلى هيئته كرجل عجوز ، وقالت له :

- أيها العجوز الحكيم ، لك في عنقى دين فاطلب ما تشاء ..
ولم يشأ العجوز أن يطلب مقابلة لمهمة قام بها . فكفاه أنه قد حصل على الشحنة الكهربية العملاقة ، ولكنه يفكر الآن في وسيلة يذهب بهذه الشحنة إلى المدينة المنكوبة . قالت المرأة القزمة :
- لقد أنقذت وادينا وأبنائنا من كارثة حقيقة ..

صاح العجوز : هل لديكم وسائل سريعة للنقل ؟
وراح يشرح الموقف للمرأتين . هنا قالت العملاقة :
- الأمر صعب .. لكنه ليس مستحيلا ..

(٣٣)

كان على رانيا أن تحمل مسئولية العودة بالشحنة الكهربية

العملقة الموجودة داخل الصندوق البلاستيك إلى مديتها .
وسرعان ماجاء الرخ الملون كى يقوم بمهمة نقلها إلى المكان
الذى تريده . كان عليه أن يحملها فوق ظهره ، ويطير فوق
السحب المبلدة . دون أن يعرف ان عشرة من جنود المدينة الزرقاء
قد تتبعوه من أجل اختطاف الصندوق ، ومحاولة الاستيلاء على
تلك الشحنة الثمينة .

التفت رانيا إلى الخلف ، ثم صاحت تحدث الرخ الملون :
- اسمع يا صديقى .. يقولون أنك بطن ، وان الجياد الطائرة
أسرع منك .

ورغم أن تلك حقيقة مؤكدة ، فان الرخ أحس بالغيط ، وفجأة
ضم جناحيه وفرد منقاره للأمام وكأنه أصبح صاروخا ينطلق نحو
الفضاء .. وبدأت مطاردة غريبة بين الجنود الزرق وبين الرخ
الملون الذى راح يسبقهم بمسافة طويلة ، وعندما أحس رجال
«الشبح الأزرق» بأن الأمور تكاد تفلت منهم ، قرروا اطلاق
الأشعة الزرقاء على الرخ من أجل اسقاطه من اعلى .

لكن هؤلاء المساكين الأغبياء كانوا لا يعرفون أن الأشعة الزرقاء
لا يمكن أن تصيب الرخ بأى اذى . فسرعان ما ذابت هذه الأشعة
داخل الألوان العديدة المزركشة التى يتكون منها ريش الرخ
الجذاب ، وهكذا أفلتت رانيا من خطر محقق ، وبعد ساعات

قليلة وصلت في اليوم الثالث من المغامرة إلى طرف مديتها . . .
كانت المدينة قد استعادت بعض الثقة عقب عودة شهرة ،
والآن ، هاهي رانيا قد رجعت حاملة الصندوق الثمين معها .

صاحب كبير العلماء وهو يمسك بالصندوق :

ـ يا إلهي . . . هذا كنز عظيم . سوف نحرك به المدينة . . .
وانتقل أبناء المدينة كي يشاهدوا عودة الحياة الحقيقة ، فسرعان
مادرات السيارات الواقفة ، دارت مواتير المصانع ، وعادت
المصابيح للظهور ، وظهرت الأضواء من جديد . وبذا كان الحياة
تبني في كل أنحاء المدينة .

وارتسمت الابتسامة على الشفاه . . . لكن من الواضح أن
المغامرة لم تنته بعد . فلا تزال هناك أشياء غالبة على «الفارس
النادر» أمن يحاول استعادتها . . .

ترى ما هذه الأشياء؟ وهل يمكن إعادتها بسهولة أم إن المغامرة
مرتبطة بالمخاطر التي لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد .؟

(٣٤)

قال العجوز ، وقد بقى وحيدا مع حازم :
ـ لو أن «رانيا» نجحت في الوصول إلى المدينة ، فإن ذلك يبشر
بالخير .



قال حازم : اطمئن سوف تصل رانيا .. لكن أتمنى ألا تكون المغامرة قد انتهت .

هز العجوز رأسه كأنه حاول أن يستجمع ذكرياته ، وقال : - مغامرة الإنسان مع الحضارة لا تنتهي .. إنها قائمة ماقام الإنسان .. ولكن علينا أن نتوجه إلى أكثر هذه الوديان جمالا .

بدت الكلمات غريبة على حازم ، ماذا يقصد العجوز بهذه الكلمات ؟ لعل الاثنين لم يعرفا أنه في تلك اللحظات التي كانا يتكلمان فيها عن هذا الوادي البعيد ، فإن «الشبح الأزرق» قد اختفى مع رجاله من الجو ، حيث اندفعوا بجاذبهم الطائرة ، واتجهوا إلى ما يسمى بوادي الذكريات .. كانت الفرحة مرسومة على وجوههم وكأنهم سوف يرتكبون الشرور المتوقعة منهم حيث حلوا ونزلوا .

وبينما هم في طريقهم إلى وادي الذكريات ، كان العجوز قد حكى الكثير عن هذا الوادي لحازم وهم في طريقهما إلى نفس المكان .

ركب كل منها جواًداً أبيض ، وقررا أن تكون الرحلة هادئة خاصة أن الوادي ليس بعيدا وان المرحلة الأساسية من المغامرة قد مرت ، أما الجانب الجميل منها فهو قادم .

ولأول مرة يعرف حازم تلك الرحلة المثيرة التي قطعها الإنسان

مع الحضارات ، وإن لكل حضارة ميزتها الكبرى في بينما يرعى
الفراعنة في علوم الهندسة والتحنيط ، وتوصلوا إلى الكثير ، من
المعجزات ، فإن منطقة الشرق كانت مهداً هداية البشر حيث نزلت
الأديان الكبرى هنا مثل الإسلام والمسيحية واليهودية ، أما اليونان
فقد نظمت للدنيا أجمل الأساطير وأعمق الفلسفات ، وبرع الرومان في
علوم السياسة والديمقراطية ، وفي الصين كانت العلوم والفلسفة
والعقائد غير السماوية مثل البوذية والكونفوشية .

وفي العصر الحديث كانت ثورة التكنولوجيا وتطبيق العلوم
النظيرية ، ولكن العالم كله أصبح مكاناً خصباً للحضارة الحديثة
التي مثلتها مجموعة من الابتكارات الحديثة .

سأل حازم : ماذا تقصد .. ؟

قال العجوز : إنها ثورة كبيرة ..

بذا الأمر مثيراً للتساؤل . سأل حازم : إنها كلمة كبيرة .. من
قام بالثورة .. وضد من ..

ابتسم العجوز - وكان الاثنان قد وصلوا إلى أطراف الوادي - إنها
ثورة .. يستفيد منها الجميع .. ثورة الاتصالات .

وكان على العجوز أن يشرح الكثير لحازم مما يقصد .. ولكن
يبدو أن الأحداث الجسيمة كانت في انتظارهما ، فهذا الوادي
الجميل قد شهد أحداثاً مثيرة .

(٣٥)

في اللحظة التي دخل فيها الاثنان من بوابة الوادي الكبير، كان جنود «الشبح الأزرق» بقيادة زعيمهم يهربون من الجانب الآخر حاملين معهم شيئاً ثميناً ..

ولذا، اندهش العجوز حين دخل الوادي . فقد بداره ساكناً بلا حياة ، التفت ذات اليمين وذات اليسار، وكأنه يبحث عن شيء .

سأله حازم : ماذا بك .. ؟

رد العجوز : أحس أن «الشبح الأزرق» قد مر من هنا .. إنه يعرف أن وادي الذكريات مليء بالبهجة والفرح . وان سكان هذا الوادي في مهرجانات دائمة ، يغدون ويمرحون ، ويستمعون إلى أجهزة الراديو ويترفجون على أفلام السينما ، ويشاهدون الأخبار في التليفزيون ويوجد لديهم هنا أكبر متحف في التاريخ للصور النادرة بعضها ملون والبعض الآخر أبيض وأسود . إذن فهناك شيءٌ ماغريب ، اختار أن ينزل من فوق الجواب وتبعد حازم ثم راحا يمشيان فوق أرض الوادي ، بدا المكان خالياً من كل الأحياء .. وكان قنبلة أبادتهم .. وقف ينادي .

ـ يا أهل الذكريات .. يا أهل الذكريات ..

ولم يسمع رداً على ندائِه ، فالتفت إلى الصبي وقال :

ـ فعلاً . لقد مر الشبح . . .

و قبل أن يكمل جملته هو العجوز من أعلى ولم ير أمام عينيه إلا ظلاماً دامساً ، و اندفعت رأسه تتخطى في جدران حفرة عميقة فشعر كأن الدماء تسال منها .

و قبل أن يصل إلى قاع الحفرة ارتفعت ضحكات السخرية والغضب وسمع صياح حازم ، و كأنه يحاول التخلص من القوم الذين امسكوا به .

لم يعرف ماذا جرى . . ولكن أحسن بالخطر يتجسد من حوله ولم يكن أمامه سوى أن يتحول إلى الفارس النادر هذا الرجل الذي لا يظهر إلا عندما تأتي الأزمات ، وقد بدأ يتحول منذ أن هو إلى القاع . .

لذا استطاع أن يتلقى الصدمة باعجوبة ، ولو أن أى عجوز بل أى شخص سقط في هذه الحفرة الضيقة من هذا الارتفاع لتحطمته عظامه تماماً ، ولذا فلم يحس «الفارس النادر» سوى بعض الألم في جسمه . و لأنه الآن صاحب قدرات مميزة فقد استطاع أن يستمع إلى صرخ حازم :

صاحب : ياللهى . . ساعدنى سى أنقذنى . .

لم يفهم ماذا حدث بالضبط . . ولم يعرف أن مجموعة من القوم البدائيين كانوا يحملون « حازم » في تلك اللحظة ، وينطلقون به

نحو «كبير المترجين» زعيمهم الأزلى ، حاملين إليه البشرى
الكجرى ، إنهم قد قبضوا على ذلك الأجنبى الذى سرق منهم أعز
ما يملكون ..

(٣٦)

أصبح كل هم الفارس النادر هو الخروج من هذه الحفرة ..
ولم يكن أمامه سوى سيفه الخارجى ، فراح يغرسه في جدار الحفرة
وتمكن من التعلق به وصنع سلما ليصعد إلى أعلى الحفرة العميقة ..
ولكن ما إن كاد يصل إلى فوهة الحفرة ، حتى انهارت الجدران
الرملية ووجد نفسه يهوى من جديد مع الرمال التى دفنته تماما ..
بدا الجلو مظلما ، وأحس أنه يكاد يختنق ثم بدأ يغالب نفسه
وحاول قدر قوته أن يرفع الرمال المتراكمة فوقه ، لكنه لم يستطع فقد
كانت ثقيلة . وكفيلة أن تخنقه ، لكنه لم ييأس ، واستجتمع المزيد
من القوى وبكل مالديه من عزيمة رفع الكتلة الرملية واصطدمت
يده فجأة بشئ من الصلب ، هتف وهو يغالب اختناقه :
- يا إلهى .. إن السيف ..

وما إن امسك السيف حتى راح يكرر «الحمد لله» ثم داس بقوه
على السيف الذى كان مغروسا مثله في الرمال ، وعلى الفور دار
نصل السيف حول نفسه كأنه يحاول أن يحفر وسط الرمال ، ويفتح
طريقا لصاحبه .

وبالفعل ، فقد راح السيف يخلخل الهواء حول الرمل الذى أخذ يناثر ، بينما لم يحتمل « الفارس النادر » هذا القدر من الغبار وراح يتمتم :

ـ إنى أختنق .. ساعدنى يا إلهى ..

وضغط بشدة على السيف ، وكأنه يزيد من قدرته على الحفر ، وهنا رأى فوهة الحفرة من جديد فاحس كأنها قد كتبت له النجاة .. وفك فى طريقة جديدة للخروج فلاشك أن الجدران الرملية يمكن أن تنهار من جديد ولا توجد وسيلة للخروج من هنا سوى أن ينادى أبناء الوادى لمساعدته ، لكن كيف يناديهما وهم الذين حفروا له تلك الحفرة ؟

لم يعرف أن الأمور قد تطورت إلى حد خطير . وأن أبناء الوادى قد وصلوا في تلك اللحظات إلى حيث يوجد زعيمهم « كبير المترجين » انه الآن في أشد حالات الغضب . وقد جلس فوق مقعده الخشبي يضع على رأسه سماعة لا يسمع فيها شيئا وأمامه جهاز تليفزيون لا يعمل ويجانبه ألبوم صور راح يتفرج فيه .. فاكتشف أن الصور قد اختفت .

لم الغضب في عينيه ونظر إلى « حازم » وهو مقيد في الأحبال وقال له :

ـ سوف تدفع الشمن غاليا . إلقوه في الرجل .

إلتفت حازم إلى قدرة كبيرة من الفخار بداخلها سائل أسود
يغلى وسمع «كبير المترجين» يكمل :
ـ هذا جزاء من يقترب من وادينا ويأخذ منا كنوزنا ..
وصرخ حازم صرخة عالية مناديا : أهيا الفارس .. إلتحقني ..
لكن فجأة حدث شيء لم يكن في الحسبان ..

(٣٧)

أطرق «كبير المترجين» بأذنيه نحو الأفق وأشار لرجاله أن
يتوقفوا وقال :
ـ أحسن أتنى أسمع صوتا جيلا ..
ثم سكت ، وكأنما يحاول أن يرصد من أين يأتي الصوت العذب
إلى سمعه . هتف :
ـ إنه في الحفرة .. اخرجوه بسرعة قبل أن تدفنه الرمال .
وأسع الرجال الذين يرتدون زي سكان الغابات البدائية نحو
الحفرة الرملية ، وراحوا يلقون بالأحجار كى يساعدوا الرجل الموجود
بأسفل على الصعود ، وعندما تمكن العجوز من الخروج راح يسعل
بشدة مما أثار إشراق هؤلاء الرجال .. لدرجة أن شخصا مده بأناء
من الفخار أمسكه العجوز ، وتبخر رشة وهو يقول :
ـ هذه أحلى مياه شربتها في حياتي ..

قال له أحد الرجال : وأنت صاحب صوت جميل .. نحن لدينا زعيم يتذوق كل شيء جميل . ولذا فهو المستمع الأكبر أو المشاهد الأكبر .. إنه رجل يقدر الجمال ..

ثم راحوا يسوقونه نحو الزعيم الذي نزل عن عرشه .. وراح يحتضن العجوز، بينما غمرت الفرحة وجه حازم ، وأحسن أن هذا المأذق الذي تعرض له سرعان ما يزول ويتهنى . قال كبير المشاهدين :

— أنت صاحب صوت عذب .. وأنا احترم الأصوات الجميلة .. لكن لماذا تسرقون كنوزنا ..

قال العجوز وقد فهم ماحدث :

— نحن لم نسرق شيئا .. وإن كنا نعرف اللصوص .. أشار الزعيم إلى أرجاء الوادى ويدا كان حاسما استبده وقال : — انظر إلى هذا الوادى ، انه مليئ بالذكريات . بالأشياء الجميلة ، الصور ، والتسجيلات ، وقد سرق اصدقاؤك اللصوص منها شيئا ثمينا ..

قال العجوز محاولا الدفاع عن نفسه :

— نحن نعرفهم ولكنهم ليسوا أصدقاء ..

نظر الرجل بغضب إلى العجوز وقال : مادمت تعرفهم فانتم أصدقاء ..

ثم حاول أن يغير من هجته وبدأ ريقاً وهو يكمل : أو هكذا
أتعامل معكم .. اسمع يا صاحب الصوت الجميل ، صحيح أن
أجدادنا كانوا من أكل لحوم البشر .. وأنتا يمكن أن نصيغ مثلهم
لوقفتنا ذكرياتنا الجميلة لكتنا تغيرنا .. بعد أن عهتنا لذة
السماع ، والمشاهدة .

بدا كأنه يشرح الموقف للعجز الذي تأثر كثيراً لما رأه وسمعه
 فهو لاء القوم من أكل لحوم البشر ، قد فقدوا وحشيتهم بعد أن
عشقوا الأغانيات الجميلة والموسيقى العذبة وأصبحت لديهم كل
هذه الكنوز السمعية والبصرية ..

سكت الرجل قليلاً ، وأشار إلى حازم الذي لا يزال مقيداً قريباً
من القدرة التي تغلى فيها المياه ، وقال :
— إذا لم يعد الألبوم المسروق .. فسوف نعود أكل لحم البشر
وسوف يكون هذا الصغير أول ضحية لنا .

(٣٨)

إن الفرحة العارمة تستبد به ..
وقف فوق أعلى التل وقد امسك الألبوم بين يديه وراح يتأمل
فيه . هذا الألبوم يضم أكثر الأشياء التي يكرهها هذا ، «الشبح
الأزرق» . وذلك لما به من صور تسجل لحظات البشرية الحالدة ،

خاصةً منذ أن عرف البشر أول صورة ، منذ أن رسم الفنان البدائي على جدران الكهوف ومنذ أن سجل «القدماء المصريون» كافة مظاهر حياتهم الخاصة وال العامة على جدران المعابد وعلى المسلاط ، وأيضاً في المقابر ، ومنذ أن نحت الرومان أجمل التماثيل ومنذ أن عرف الفنانون كيف يلوون اللوحات ، عندما وقف مايكيل انجلو فوق سقالة ليرسم أجمل لوحات البشر على جدران وسقف كنيسة سكستين منذ خمسة قرون ، وأيضاً هناك أجمل لوحات الفنانين الكبار مثل روبنز وجوبا وسيزان .

نظر «الشبح الأزرق» إلى صورة أثارت غيظه ، وقال :
— كم أكره هذه الصورة كثيراً ، إنها أول صورة تم التقاطها بواسطة كاميرا . . .

يعرف أنه منذ أن تم التوصل إلى الصور الفوتوغرافية كان ذلك إيذاناً باكتشاف كافة الاختراعات الكبرى في العصر الحديث فعندما تحركت الصور أمكن اختراع السينما ، وبعد ذلك ظهر الراديو والتليفزيون ثم جاء الفيديو والأقمار الصناعية .

هتف «الشبح الأزرق» وقد ظهرت كلماته على الشاشة المعلقة على صدره :

— أشعلوا النيران ، ساحرق هذا الألبوم بنفسى .
وسرعان ما أشعل الجنود الأزرق النار واقترب منها «الشبح

الأزرق» وهو يحمل الألبوم الذي سرقه من وادي الذكريات، إنه يعرف أن حرق هذا الألبوم سيساعد في مسح الذاكرة المخضبة لدى البشر أجمعين، وليس فقط لدى أبناء المدينة المنكوبة، فهذا الألبوم دليل أكيد على أن من أبرز منجزات العصر هو ثورة الاتصال مما جعل العالم كله أشبه بقرية صغيرة لدرجة أن أي شيء يمكن أن يحدث الآن في أي بقعة من الأرض، ينتقل بأسرع ما يتصور الناس إلى كل الدنيا من خلال الأقمار الصناعية، بل إن الأمر وصل إلى حد أن الناس شاهدت وقائع الحروب على الشاشة والمعارك في أشدتها.

رفع «الشبح الأزرق» الألبوم إلى أعلى، وطوح بالألبوم في الهواء راميا به إلى النيران الشديدة التي يمكنها أن تلقطه وتلتهمه في ثوان عديدة وهو يشعر بالسعادة تغمره لأنه سيتخلص من هذا الكترن البشري الشميين.

(٣٩)

تطلعت عيون الجنود الزرق إلى الألبوم الشميين، وهو يرتفع في الهواء، ثم وهو يتوجه بكل قوة نحو النيران، ولعنت العيون الحمراء من السعادة بينما غمرت الفرحة «الشبح الأزرق» وهو يرى أن مغامرته قد انتهت تقرباً لصالحه.

لكن فجأة انقبض قلبه بشدة ، وانتفض راح يمسك سيفه
واستله من مكانه ، وأشار إلى جنوده كأنه يقول :
- اقتلوه .. لقد جاء إلى مصيره بنفسه .

لم يصدق عينيه الحمراوين وهو يرى خصميه اللدود «الفارس
النادر» يقفز بكل مالديه من قوة نحو الألبوم ويلقطه قبل أن
يلمس التيران .

وفي سرعة البرق استل الفارس سيفه ، ووقف وسط دائرة صنعها
الجنود الزرق الذين استعدوا لمبارزته ، بينما ضم الألبوم إلى صدره
بيده اليسرى وفي لحظة واحدة هجم الجنود نحو الفارس بسيوفهم .
وكانت المفاجأة ، فسرعان ما كبر نصل السيف وخرجت منه
زوائد صغيرة قرابة ثلاثين سيفاً صغيراً ، راح يطير بسيوف
الخصوم ، ويسقطها فوق الأرض ثم صاح غاضباً :
- سأقاتلكم بيدي إذا لزم الأمر ..

وكانت المفاجأة أن الجنود قد تكتلوا معاً واستعدوا لمواجهة
«الفارس النادر» بعد أن أعاد سيفه إلى مكانه مرة أخرى ، وبينما
ارتدى «الشبح الأزرق» للخلف وهو يشير إلى جنوده أن يرتموا على
الفارس .

بدوا كأنهم مدربون جيداً لتلك القفزة المباغة التي قاموا بها
حيث تكتلوا فوق خصمهم بأجسامهم الثقيلة ، وكأنهم سيفتكون

به ، ووُجِد «الفارس النادر» وقد علته كتلة من الأجسام الزرقاء ،
وحاول أحدهم أن يخنقه ، أما الآخر فحاول أن يسحب السيف ،
بينما حاول ثلاثة آخرون أن يمنعوا يده اليمنى من الحركة .
وتصوروا أنهم قاموا بقتل حركته ، بينما وقف «الشبح الأزرق»
يعلن على طريقته الخاصة :

ـ رائع .. مزقوه إربا .. حانت نهايتك يا نادر ..
وهنا أخرج سيفه المعتم وانتظر اللحظة المناسبة كى يغرسه في
صدر خصمه فكم تمنى أن يأتي اليوم الذى يتخلص منه ..
وهاهى جاءت اللحظة وحان وقت الانتقام لكافحة المغامرات
السابقة .

(٤٠)

فجأة طارت كل هذه الأجسام الزرقاء في الهواء ..
فقد استجمعت «الفارس النادر» قوته الخارقة ، واستطاع أن يدفع
عنه كل هذه الأجسام التي تراكمت فوقه وفي لمح البصر سقط
الجنود فوق زعيمهم «الشبح الأزرق» ، وبكل سرعة وقف «الفارس
النادر» فوق الأرض وهو يشهر سيفه ، ولكنه لم يكن في حاجة أن
يفعل ذلك فقد بدا الجنود الزرق بلا حول أو قوة ، أما «الشبح
الأزرق» فقد أشار له بيده ، وقال :



- صدقني . لم أقصد إيهأك .. هم السبب . أنت تعرف ..
وغالب «الفارس النادر» ابتسامة فرضت نفسها عليه من موقف
«الشبح الأزرق» ، إنه في حال يرثى له ، ثم راح يطروح بسيفه في
الماء أعلاهم مباشرة ، كأنه يؤكد لهم أنه قادر على التخلص منهم
في أي لحظة .

بعد دقائق قليلة تأكد تماماً أنه قد ملك زمام الأمر ، فهاهم
الجنود الرزق مقيدون جميعاً مع زعيمهم في قيد حديدي لن يمكنهم
أبداً أن يفكوا هذا القيد منها كانت قوتهم أو قوة من يساعدهم ..
ثم استعد «الفارس النادر» للإسراع نحو وادي الذكريات من أجل
أن يلحق بحازم قبل أن يلقوا به في مرجل المياه الملتئبة . ويلتهموه
فيما أسوأ أن يعود المرء إلى سيرته الأولى بعد أن أصبح متحضاراً ..
وهناك كانت الفرحة الغامرة ..

لم يصدق «كبير المترجرين» أن ألبوم الذكريات قد عاد إليهم
ثانية .. راح يتصرفه في إعزاز ويردد :
- لن نفترط فيه قط .. إنه أعظم مانع مملك ..
سؤاله حازم وهو ينظر إلى الرجل الملئ بالمياه الساخنة :
- هل كنتم ستضعونني هناك ..

هز الرجل رأسه بالإيجاب وهو يهاب مع الموسيقى التي بدأت
تبثث من جديد في الساعات المعلقة على أذنه :

– طبعا .. عندما نفقد الذاكرة فلا نعرف المزاج .

لاحظ أن « حازم » قد تضايق قليلا ، فالتفت إليه وهو ينظر إلى شاشة التليفزيون التي تبث برنامجا جذابا يدور في إطار مسابقة عن معلومات العامة وقال :

– لكننا الآن سعداء ، وسنشارك في سعادتنا .. خذ ..

ومد له بشريحة فيلمية ، وقال :

– هذه الشريحة تضم كافة الصور الموجودة في الألبوم ، إنها سطوانة كومبيوتر وميكروفيلم في نفس الوقت ..

ابتسم « حازم » وراح ينظر إلى العجوز ، وسأله :

– هل هذه هي ماجتنا من أجلها ؟

هز العجز رأسه وحط شفتيه ، وقال :

– نعم هذه هي واحدة من الحلقات الهامة التي يمكن أن تعود بها مديتهاكم إلى حالتها .. عندما ستصل إلى هناك ستعود من جديد مدينة للراحة ..

واسرع الصغير نحو العجوز وارقى في أحضانه وهو يبكي ، لم يصدق نفسه ، وسمع العجوز يقول له :

– هيا ، فورا لك مهمة شاقة والرحلة غير سهلة ، وستقطعها وحدك .. مفهوم ؟

نظر إليه الصغير وهو يمسح دموعة . الآن لقد تغير « حازم »

كثيراً وأحس انه كبر خلال هذه الأيام الخمسة ما يعادل خمس سنوات كاملة بل ربما أكثر بكثير ، فهو الآن يعيش المغامرة وقدر أن يكون مسؤولاً عن توصيل الأسطوانة إلى مديتها في أسرع وقت ممكن . هنا راح يصافح العجوز ، وقال :
- أتمنى أن ألقاك قريباً .. في مغامرة جديدة ..
ثم أسرع إلى الطريق بعيداً عن وادي الذكريات في طريقه إلى مدينة « الراحة » .

رقم الایداع: ١٩٩٦/٧٨٩٤
I.S.B.N. 977 - 09 - 0345 - 0

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سفيونه المصرى - ت: ٤٠٢٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (١٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (١١)

خيال × خيال

اقرأ في هذه السلسلة

- أبواب المستحيل الخمسة
- جسر الأمواں
- اختطاف قوس قزح
- سر المتأهات العجيبة
- الهروب من وادي الهملاك
- مغامرات النطاط العجيب